أدبيّـات النّهـوض

نصر ونهضة

دراسات في فكر
الإمام الخامنئي

أخلاقيّـات العلـم

عند الإمام الخامنئي (حفظه الله)

الإمام الخامنئي

الكاتب: عبد الله زيعور





مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع ايمان ابي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق
في الكفة الاخرى لرجح ايمانه
الإمام الصادق (ع)
mocmenquraish.blogspot.com

أخلاقيّـــات العلـــــم

عند الإمام الخامنئي (حفظه اللّه)

أخلاقيات العلم عند الإمام الخامنئي (حفظه الله)

د. عبد الله زيعور

الطبعة الأولى

ISBN 978-614-440-035-7

[١٤٣٦ هـ. - ٢٠١٥ م.]



العنوان: لبنان - بيروت - سان تريز - سنتر يحفوفي - بلوك C - ط٣
Email: almaaref@shurouk.org - تلفاكس: ٠٠٩٦١١٥٤٦٢١٩١

بسم اللہ الرحمن الرحیم

الفهرس

مقدمة

قليلة هي الكتابات حول مسألة أخلاقيّات العلم في المكتبات ودور النشر العربيّة، ونادرة هي الكتب التي تتطرّق إلى أزمة العلم الحديث والتجاوزات التي ترتكب باسمه، ذلك أنّ ملف البحث العلميّ غير مطروح كما ينبغي في الأمّة عمومًا وفي ساحاتنا خصوصًا، وقضيّة الأخلاق المهنيّة والمؤسّساتيّة لا تحتلّ الأولويّة المطلوبة في بلادنا حيث تعاني الأمّة من الأعراض الجانبيّة للعولمة وانفتاح الأمم بعضها على بعض وسيطرة القيم الغربيّة عليها، مقرونًا بتردّدها وبقصورها عن إطلاق منظومة النهوض العلميّ والصناعيّ والإداريّ في بلدانها، ويساعد في كلّ ذلك اغترار أهل الحلّ والربط فيها بالأسلوب الملتوي والخطاب المنمّق الذي يجير به الغرب لأفكاره وأعرافه كمثال الدعوة لإطلاق الحريّات في بلداننا والمطالبة بتعميم النموذج الليبراليّ اقتصاديًّا واجتماعيًّا، وحيث يحترف الغرب إرسال رسائل الترغيب للموالين له ورسائل التهديد وصولًا إلى المواجهة الانتقائيّة للأنظمة المخالفة. ومع الأسف، لا تحتلّ الجامعات العربيّة والإسلاميّة مراكز متقدّمة في الترتيب العالميّ للجامعات وكذلك لا وجود لمراكز الأبحاث العربيّة والإسلاميّة في مصاف ترتيب الأوائل عالميًّا في إنتاج البحث العلميّ.

إزاء كلّ ذلك، لا نجد صخبًا في الحديث عن التبعات والنتائج السلبيّة للعمل العلميّ المتفلت من الضوابط القيميّة والأخلاقيّة، ولم تعطِ الحكومات ولا منظّمات المجتمع المدنيّ آذانًا صاغية لكلام مخيف ومطروح بقوّة في الغرب، كلام يصل إلى حدّ المعضلة:

إلى أين يتّجه بنا العلم؟ وهل مسموح لنا إطلاق العلم من عقاله؟ وتزداد خطورة الأسئلة وتتنوّع عندما تخوض الدول الامبرياليّة المعركة في جرّ العلم إلى حيث تريد: أداة طيّعة في يد الإعلام وكارتيلات السلاح والنفط

والإنتاج الصناعيّ المفتوح، وتدير هذه المعركة بالوساطة وتجيّش عددًا من الأقلام والعلماء لمواجهة الدعوات إلى عقلنة العلم بعناوين احترام حريّة البحث العلميّ كجزء من منظومة الحريّات التي لا تمسّ وبعناوين قدسيّة العلم وعدم جواز الوقوف في مسار تقدّمه انطلاقًا من مفهومها القائم على حاكميّة العلم على ما عداه.

الوجه الآخر لإعاقة مشروع انطلاقة الأمّة إبقاؤها أسيرة تحدّيات الوجود عبر استثمار ثورات الشعوب على الأنظمة التي فرضتها أمريكا وحلفاؤها الغربيّون وإبقاء إنسان اليوم في العالم الثالث أسير البحث عن لقمته، عالقًا في التهديد الدائم لأمنه وأمانه الاجتماعيّ وأنّه يعاني من تعسّف وقهر أنظمة ملكيّة زالت من على خارطة الكرة الأرضيّة ولم تبقَ إلّا في بلادنا، ولا تنتج إلّا إنسانًا محدود الأفق والتطلّعات ومحدود الخيال والإبداع، بحيث تستنسخ المشكلة يومًا بعد يوم وحكومة بعد حكومة وجيلًا إثر جيل.

مصلحة الفرد مسألة محوريّة في الغرب الذي يحترم كلّ القيم الداعمة لحركة الإنسان ولنهوض المجتمع وسلامته مثل الانضباط واحترام الوقت وإتقان العمل، لكن يخفق في احترام المنظومة الكاملة للقيم الإنسانيّة العليا، فالقيم فاعلة ومحترمة لصالح الإنسان الأبيض فقط فيما هي نسبيّة تجاه سائر الأمم، وهو مستعدّ لأن يسحقها لتنحدر كرامة الإنسان باسم الآلة المنتجة، خدمة لغرائز البطش والأنانيّة والمنفعة، على أسس الإلحاد العمليّ والعلمنة بأن ليس ما بعد الحياة شيء والمهمّ هو الانتفاع بها بغضّ النظر عن الأساليب، وهو وصف أكّده علماء الغرب ومنهم برتراند رسل الذي قال إنّ الحضارة الغربيّة أخذت بعناصر الغريزة والعقل وأهملت الروح مطلقًا، مصدر المشاعر الإنسانيّة وسبب الإحساس بالآخرين، ويعتبر رسل أنّ شرط الحضارة الحقيقيّة هو انسجام العناصر الثلاثة نحو حياة إنسانيّة أرقى.

لقد انتصر الإنسان على المادّة وتسيّد الكرة الأرضيّة لكنّه احتاج ويحتاج إلى نصرٍ آخر أسمى وأشدّ أهميّة وهو نصره على غرائزه، نصر على نفسه الأمّارة وهذا النصر ليس مسألة نظريّة سهلة فهو الحقبة الأصعب وهو ما عرفه الحديث الشريف بالجهاد الأكبر، فيما تعاني الأمّة الإسلاميّة من صورة أخرى للأزمة وهي عدم انعكاس القيم الدينيّة إيجابًا على حركة المجتمع عن التطبيق العملانيّ والارتباط اليوميّ بها، حيث يحترم الإسلام الحياة ويقدّس قيمتها وهي دار ممرّ إلى وجود أخرويّ أسمى وأطول، فيما لا تزال الأمّة تعاني الأمّة من بون شاسع بين القيم الجماعيّة الفاعلة والمحرّكة وبين الروح الفرديّة والمنغلقة في إطار الذات دون الجماعة.

في المفهوم الإسلاميّ، الرقيّ المادّيّ والروحيّ هما وجهان للحياة الإنسانيّة يكمل أحدهما الآخر وهدف البعثة النبويّة وفق الحديث الشريف: «إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1]، والمراد في أصل الوجود الإنسانيّ على الأرض أن يكون ابن آدم خليفة الله على الأرض، والمفارقة أنّ الإسلام يحثّ وبقوّة شديدة المسلم على طلب العلم ويعتبر أنّ العلم سبيل النهوض فلماذا لا تبدأ عجلة النهوض الحقيقيّ بالدوران؟ الحقيقة أنّ للمشكلة وجهين: لا قيم وتطلّعات جماعيّة للإنسان المسلم كافية لاستنهاضه والذهاب بآفاقه نحو الأرقى والأسمى له وللأمّة، والوجه الآخر غياب القيادة الحقيقيّة ثمّ الرؤية والمشروع، حيث نجزم بأن لا رؤية ولا مشروع حقيقيًّا لدى معظم الدول القائمة اليوم تجاه تحدّيات ومستلزمات النهوض وتحديدًا تجاه موقع العلم في مشروع النهوض، باستثناء إيران حيث حدّدت الأمّة ما تريد، وشخّصت الهدف التي عليها الوصول إليه وحدّدت مفهومها للتقدّم، وأنتجت رؤية علميّة بلورها الإمام الخامنئي القائد من خلال خطب وكلمات قدمها تدريجًا على امتداد عشرين عامًا وكنّا قد شاركنا في تظهيرها من

(١) العلّامة المجلسيّ، **بحار الأنوار** (بيروت: مؤسّسة الوفاء، الطبعة٢ المصحّحة، ١٤٠٣ﻫ، ١٩٨٣م)، الجزء ١٦، الصفحة ٢١٠.

خلال كتاب **الرؤية العلميّة لدى الإمام الخامنئي**[٢]، والمسألة التي يجدر التوقّف عندها أيضًا فرادة شخصيّة الإمام الخامنئي، حيث لم يحدث سابقًا أن يجمع قائد بين موقعه السياسيّ والمرجعيّ وحمله لرؤية علميّة ثاقبة وقّادة تستشرف منها الأمّة مشروعها النهضويّ لتتبوّأ الموقع العلميّ الرياديّ بين سائر الأمم ولتحقّق من خلال مشروعها للنهوض والاقتدار على قاعدة كلام الإمام علي (ع): «استغن عمن شئت تكن نظيره واحتج إلى من شئت تكن أسيره»[٣].

انطلاقًا ممّا تقدّم، فقد أردنا إثارة قضيّة قيم العلم وأخلاقيّاته، مع تحديد مفهومنا لوجهة العلم الصحيح، إيمانًا منّا بأنّ مصيرًا مشرقًا ينتظر هذه الأمّة وهي ستجد طريقها ولا محال نحو مستقبل مفعم بالطموح والأمل، وأنّ ما تقدّم مساهمة في إنارة شمعة في الدرب الطويلة للهدى وأنّ مشروع الأمّة هو النهوض لحلّ مشكلاتها الهائلة والتقدّم نحو تبوّأ موقع رائد بين الأمم.

هذا الكتاب محاولة لتظهير رؤية الإمام الخامنئي الناجحة نظريًّا باستدلالها العمليّ، والقائمة على الربط المحكم بين قيم العلم العليا وموقعه في مشروع النهضة، جاعلة من العدالة قيمة ارتكازيّة تتفرّع عنها سائر القيم، في عمليّة تكافل وتضامن بين أفراد الأمّة لتصل جميعًا بالإنسان إلى مستوى خلافة الله تعالى على الأرض.

وسنبيّن من خلال سطور الكتاب أن قضية أخلاقيات العلم لا تنحصر بقضية باحث ومشروع بحثي فقط كما أراد الغرب تصويرها وحصرها في هذا الإطار وإنّما هناك المشكلة المفصليّة المتمثّلة بالنظام السياسيّ المحرّك للأبحاث الكبرى وصاحب الموازنات الضخمة وحقيقة ونوعيّة مشروعه الكامن وراء صناعة مشاريع البحث وتمويلها وتوجيهها، وهذا هو

---

(٢) عبد الله زيعور، **الرؤية العلميّة لدى الإمام الخامنئي**، سلسلة أدبيات النهوض (بيروت: دار المعارف الحكمية، ٢٠١٢).

(٣) **بحار الأنوار**، مصدر سابق، الجزء ٧١، الصفحة

الوجه الحقيقيّ للمعضلة التي تخلّف من ورائها الكوارث الطبيعيّة والبيئيّة وإزهاق الأرواح وإراقة الدماء وقهر إرادة الشعوب المتطلّعة إلى الحريّة والانعتاق جيلًا إثر جيل....

ماهية أخلاقيات العلم
والقيم الحاكمة للبحث العلمي

باتت مسألة العلم المعاصر ذات صلة وثيقة بمدى وعي الإنسان لقيمته ولتطبيقاته، وازدادت الحاجة لتنمية المعارف حول العلم بعدما اندمج العلم والتكنولوجيا في نظام متكامل وباتت العلوم الإنسانية كلّها تتقرّب من العلم التجريبيّ لزيادة جرعة المصداقيّة في أعمالها ونتائجها، واعتبر الجميع أنّ العلم ضرورة ملحّة للمجتمعات التي تنشد الارتقاء وتلبية احتياجاتها ومنافسة الأمم المتقدّمة. ونظرًا للتأثير المتصاعد في حركة العلم على البشريّة ولدخوله في عمق نسيجها الاجتماعيّ والثقافيّ، ولكي يبقى هذا الدخول مقبولاً في المجتمعات، فإنّ من الضرورة بمكان أن تتوافر مجموعة من المستويات الأخلاقيّة لرجال العلم وللبيئة السياسيّة والاجتماعيّة والأنظمة من حولهم، تكون مسؤولة عن ضبط أنشطتهم التكنولوجيّة، وهذه بالضبط ما تمّ الاصطلاح عليها باسم القيم العلميّة.

ويذهب بعضهم إلى اعتبار القيم العلميّة بأنّها محصّلة لمجموع الاتّجاهات الإيجابيّة لدى الأفراد إزاء موضوع علميّ أو موقف متّصل بالعلم[٤] أو أنّها الأحكام المعياريّة الضمنيّة التي تتكوّن لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات ذات الصبغة العلميّة، يصدرها الفرد تجاه القضايا والمشكلات العلميّة ويتفاعل معها وتتّضح في اهتماماته واتجاهاته وسلوكه[٥] وتمثّل القيم العلميّة فرعًا في مصفوفة القيم ذات المفهوم الثلاثي العناصر:

١- المعرفيّ، المسؤول عن تزويد الفرد بالمعلومات عن طبيعة القيم العلميّة.

٢- الوجدانيّ، المسؤول عن تشكيل الميول والاتّجاهات لديه.

٣- الأدائيّ، المعنيّ بسلوكيّاته.

ويكتسب الفرد قيمته العلميّة من أصوله الدينيّة والثقافيّة والاجتماعيّة، فيشعر نحوها بالقبول وتكون من عوامل تشكيل شخصيّته، وتدفع المرء

---

(٤) Farell, R.P., Journal of the History of science society, 96(2((2005), pp 312-313..

(٥) للمزيد انظر: ممدوح عبد المجيد، «فعّاليّة استخدام استراتيجيّة مقترحة لتدريس العلوم»، المؤتمر العلميّ السابع للجمعيّة المصريّة للتربية العلميّة، الإسماعيليّة، ٢٧-٣٠ أيلول (٢٠٠٣)، الصفحات ٢٥٩-٣٠٥.

إلى مواجهة الظواهر المختلفة بحكمة واقتدار، فهي تؤثّر في سلوكه تأثيرًا مباشرًا(٦)، وتعتبر القيم التي يكسبها الإنسان في صغره أكثر استقرارًا، أمّا التي يكسبها في كبره فهي عرضة للتغيير(٧)، وتصبح القيم العلميّة الأساس الأخلاقيّ العلميّ للمهنة ومنها على سبيل المثال: الموضوعيّة، الأمانة العلميّة والخصب الفكريّ والاستعداد للتجربة، وتحمّل المسؤوليّة وضبط النفس والدقّة في التجربة والمرونة العلميّة والتعليل العلميّ(٨).

ويجمع المختصّون على وضع القيم في نمطين: قيم تتّصل بالمتغيّرات فتعتمد على العلم وقيم تتّصل بالثوابت فتعتمد على الفلسفة (العقل). ومن هنا، فإنّ خلط موضوعات الفلسفة بموضوعات العلم عشوائيًّا يفسد العلم والفلسفة معًا. ولكن مع ذلك فإنّ العلاقة تبقى حميمة ومتواصلة بينهما (ذات حوار دائم وتفاعل) فالفلسفة تستشير العقل وتستنبط المناهج وتحدّد وجهة البحث العلميّ والسير الفعليّ وفق مناهجه، ولذلك فرّق البعض بين مصطلحي العقل والعلم. فالعقل هو الذي يعتني بالأحكام الأوّليّة والأفكار المستوحاة منها، بينما العلم هو البحث عن الحقائق بصورة مباشرة، كما أنّ الفلسفة تهتمّ بالثوابت بينما العلم يهتمّ بالمتغيّرات. وأنّى كان الفرق بينهما، فإنّهما يتواصلان، وتراكم الجزئيّات يوجب الإحاطة بالكلّيّات، كما أنّ معرفة المتغيّرات تهدينا إلى تلك القوانين الثابتة التي تضبطها. وهكذا تحديد المنهج الصحيح يوصلنا إلى المعرفة بصورة أسهل.

فإذا قرّرت فلسفة الأخلاق ضرورة التجانس والتناغم في المجتمع، فإنّ علم المجتمع يأتي ويبيّن أبعاد هذا التجانس وآفاقه كأن يُقال مثلًا إنّ أفضل التجانس هو التجانس بين أفراد الطبقة دون إلغاء الطبقة مثلًا، بينما يأتي علم الرياضيّات ليبيّن كيف يتمّ التجانس على أرض الواقع بالأرقام

---

(٦) دلال استيتية وتيسير صبحي، مجلة مركز البحوث التربوية، جامعة قطر، ١١ (٢١)، ٢٠٠٢، الصفحة ١٢٩-١٦٥.

(٧) حمد الرشيد، المجلّة التربويّة، مجلّة النشر العلميّ، جامعة الكويت ١٤ (٥٦)، ٢٠٠٠، الصفحة ١٣-٦٣.

(٨) عبد الودود مكروم، **القيم ومسؤوليّة المواطنة**، دار الفكر العربيّ، القاهرة (٢٠٠٤).

(توماس مور).

وإذا اعتمدت الفلسفة الأخلاقيّة مبدأ تدخّل الدولة، فإنّ آليّة هذا التدخّل تكون من اختصاص العلم بالاستفادة من الدوافع والمنفّرات، أو بتعبير آخر الترغيب والترهيب (هوبز) وكذلك حين تعتمد فلسفة الأخلاق مبدأ الضرر والمنفعة على أساس القيم الماديّة، فإنّ آراء (متشنيكوف) تنفع في هذا الحقل، لمعرفة ردود كلّ فعل من المنافع، لتقييم النتائج على أساسه، وهكذا يتدخّل علم الطبّ في حقل الأخلاق.

وفي أطر أخرى، نجد تعريفات مغايرة لأخلاقيّات البحث العلميّ، هي في جوهرها مشابهة لما طرحناه قبلاً، منها ما يقدّم باعتبارها المبادئ الأساسيّة التي تقوم عليها القوانين والأعراف وفقًا للقواعد المعمول بها بوصفها قواعد بنّاءة لضبط السلوك، تستهدف تحديد الأفعال والعلاقات والسياسات التي ينبغي اعتبارها صحيحة أو خاطئة. ولا بدّ لكلّ ما ينبغي أو يجب في مفهوم الأخلاقيّات من أن يكون مقنعًا للعقل، وذلك باعتماده على المنطق، واتّصافه بالتنسيق والتماسك وارتكازه على الحقائق والمعطيات الدقيقة وقابليّته للتطبيق على الناس كافّة بالعدل والإنصاف.

وبات من المتسالم عليه أن لا تحول الحدود الجغرافيّة دون تطبيق أخلاقيّات العلم في أيّ مكان، فالناس على الرغم من اختلافهم وتباين ثقافتهم، إلّا أنّهم جميعًا يتّفقون على قيم معيّنة أهمّها الإنسان الذي يمثّل قيمة لا تقبل المساومة. وثمّة ضرورة أن يتّصف البحث العلميّ بالموضوعيّة والدقّة، وإمكانيّة تكرار النتيجة والتبسيط والاختصار وبالتوجّه نحو غاية أو هدف وبالتعميم في الحالات المشابهة.

ولا يخفى أنّ القيم الدينيّة والفلسفيّة والعقائديّة والثقافيّة هي المنابع الرئيسة لأخلاقيّات المهن الصحيحة، وفي طليعتها أخلاقيّات الطبّ، ويتفرّد إقليم شرق المتوسّط، كما هو معلوم، بأنّه مهد الأديان السماويّة الثلاثة الكبرى وهي: اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام. والدارس لأديان

التوحيد الثلاثة هذه يجد أنّها تدعو إلى مبادئ أخلاقيّة متماثلة جدًّا، ويلحظ أنّ هذه المبادئ هي المنبع الرئيس لأخلاقيّات المهن الصحيّة في بقاع شاسعة من العالم.

يمكننا تقسيم الأخلاقيّات في أيّ مهنة إلى قسمين:

أخلاقيّات عامّة: هي أخلاقيّات مشتركة بين جميع المهن: الصدق، الأمانة، الإخلاص، وحسن المعاملة.

أخلاقيّات خاصّة: وهي تختصّ بكلّ مهنة على حدة، فلكلّ مهنة طبيعة خاصّة تميّزها عن سواها، وكلّ مهنة تجابه مشكلات خاصّة ولذلك هي تحتاج لأخلاقيّات خاصّة.

وعلى ذلك، فإنّ أخلاقيّات المهنة العامّة والخاصّة هي السلوكيّات الحسنة التي يجب أن يتحلّى بها الجميع مهما كانت مهنهم أو حرفهم أو أعمالهم.

مصادر أخلاقيّات المهنة

١- المصدر العقائديّ: ما تحدّده الأديان والمعتقدات فيما يخصّ علاقات العمل.

٢- المصدر التربويّ: قيم الفرد ومعلوماته ونزاهته والتي تشكّلت مع مرور الزمن.

٣- الوثائق المهنيّة: وهي الوثائق الأخلاقية الصادرة من الهيئات المهنية والتي تحدد الالتزامات الأخلاقية للممارسات المهنية مثل: الصدق، النزاهة، الأمانة، الحزم، الانضباط، حسن التصرّف في المواقف الطارئة واحترام قيم المجتمع، والقوانين والقواعد والنظم والسياسات الإداريّة الصادرة من المؤسّسة والتي تلزم جميع منتسبيها بالالتزام بها أثناء العمل، و تحدّد المطلوب للقيام به وكيفيّة أدائه، وتحدّد جميع المسؤوليّات والواجبات الأخلاقيّة التي يجب أن يلتزم بها جميع العاملين.

تعريف أخلاقيّات البحث العلميّ

إذن، يتّفق المهتمّون في مجال أخلاقيّات البحث العلميّ على تعريفها بأنّها مبحث من مباحث علم الأخلاق ويقصد به إحياء المثل الأخلاقيّة للبحث العلميّ لدى الباحثين والدارسين وطلّاب العلم والتي تحفظ للعلم كيانه وللبحث قوامه ويجمع المتابعون أنّ من مبادئها: البحث العلميّ مسؤوليّة اجتماعيّة ووطنيّة، وضرورة الانطلاق من رؤية مشروع وطنيّ، توجيه العلم والبحث العلميّ لخدمة المجتمع أوّلًا، إتاحة العلم للجميع، احترام الحريّة الأكاديميّة.

ويمكننا تعداد العناوين التالية كنماذج عامّة من أخلاقيّات البحث العلميّ:

الصدق والدقّة في نقل آراء الآخرين	الموضوعيّة والنقد الهادف	التغذية المرجعيّة
احترام الملكيّة الفكريّة لدى الآخرين	الحفاظ على البيئة	التحلّي بالتواضع العلميّ
عدم التأثّر المسبق بالأشخاص والأفكار	الصبر والبعد عن الانفعال	

موجز أخلاقيّات البحث العلميّ في مؤسّسة الجامعة

انطلاقًا من أنّ الجامعات تشكّل ساحات أساسيّة للبحث العلميّ وحيث إنّ الكثير من التجاوزات لأخلاق العلم قد ترتكب في حرمها، في مختبراتها، وعبر فرقها البحثيّة وأساتذتها وهي بالتالي تتلقّى الموازنات وقد تنفّذ سياسات الأنظمة المموّلة لها بشكل عشوائيّ وضدّ الإنسانيّة باسم العلم والضرورات الأكاديميّة، فإنّ من الضروريّ بمكان تحديد الضوابط والمواصفات والشروط العلميّة الواجب التحلّي بها على مستوى الأفراد

والجماعات لحسن سير العمل في مؤسّسة الجامعة ولسلامة قيمة البحث وتوجيهه ليكون محلّ إفادة للناس لا مورد سوء وهلاك للإنسانيّة عمومًا أو مورد ترف لا علاقة للفرد والمجتمع به، ومن هذه المواصفات يمكننا أن نورد:

- الاحترام الواجب لقانون الجامعة والبرامج التنفيذيّة التي يضعها مجلس الجامعة، وأن يكون هذا الاحترام نابعًا من شعور داخليّ.

- اهتمام عضو هيئة التدريس والمعاون وطالب الدراسات العليا بالارتقاء بالجامعة من خلال العمل الجادّ في الأقسام وبالتالي الكليّة والجامعة.

- الاعتقاد الراسخ بأنّ البحث العلميّ هو الركيزة الأساسيّة في تقدّم المجتمع وهو الذي يرفع من مستوى التعليم بالجامعة، وإنّ نشر الأبحاث العلميّة في المجلّات العلميّة العالميّة المحكمة يرتقي بعضو هيئة التدريس وترتقي معه الجامعة.

- الابتكار وحسن اختيار موضوع البحث يهدف إلى استكشاف الحقائق العلميّة الجديدة وبحيث لا يكون البحث تكرارًا لما هو معروف، مع مراعاة أن يكون الجزء الأكبر من البحث العلميّ ذا قيمة لها مردود عمليّ إيجابيّ على المجتمع وقطاعاته، وخاصّة في مجالات: الصناعة، والزراعة، وغيرها.

- مراعاة الالتزام بالأمانة العلميّة وعدم مخالفة القواعد والتقاليد الراسخة في هذا المجال: لما يحصل عليه الباحث من معلومات أثناء إعداد لبحثه.

- الالتزام بذكر المراجع بكلّ دقّة وأمانة.

الالتزام بالموضوعيّة والتجرّد التامّ من الاعتبارات الشخصيّة عند تحكيم الأبحاث للنشر.

البعد عن استعمال البحث العلميّ لأهداف البحث العلميّ غير علميّة كالدعاية الشخصيّة أو المجاملة لأيّ فرد أو هيئة أو مؤسّسة مهما كان شأنها.

- التأكيد على بيان جهد كلّ مَن اشترك مع الباحث في إعداد البحث طبقًا للأعراف والتقاليد الأكاديميّة.
- الإدراك بأنّ البحث العلميّ مسألة مستمرّة ليس لها حدود زمنيّة معيّنة. لذلك لا بدّ من مواصلتها والاطّلاع المستمرّ على المجلّات الدوريّة والمؤلّفات في مجال التخصّص والمناقشة بشأنه.
- الترشيد في استخدام الموارد اللازمة لإجراء البحوث، وعدم الإسراف دون مقتضى.
- الالتزام بحقوق الملكيّة الفكريّة وضوابطها.

فلسفة العلم في المنظور الغربيّ

بدأت الرؤية العلميّة عند الغرب بالظهور بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر، حيث تجلّت إرهاصاتها ثورة علميّة مع كوبرنيك وغاليليه. وانطلقت الفلسفة الغربيّة الحديثة من تأكيد المنهج التجريبيّ وكان فرنسيس بيكون رائدًا له فحدّد هدف العلم بالسيطرة على الطبيعة لأغراض الإنسان العمليّة على حساب مفاهيم وفلسفات الماهيّة وماهيّة القوّة التي تحرّك الوجود، وبات المنهج العلميّ يقوم على الملاحظة فالافتراض فالتحقّق، ونشأ ما عرف في ما بعد بالعلوم الوضعيّة كالفيزياء والكيمياء والطبيعيّات وغيرها، وكانت ملفتة كلمات بايكون: «يجب استعباد الطبيعة وهتك أسرارها والتحكّم بها»، وتبعته محاولة الفيلسوف أوغست كونت تحرير العلم من الفلسفة والدين، لتنتهي المحاولة بجعل العلاقة بين الطرفين محكومة بقوانين ذات صفة أزليّة، وهي بالتالي تتطلّب خالقًا خارجيًّا يفترض عليه قانون الإلهيّ، ولكن عندما جعل العلم الإيمان بالله أكثر دقّة وظهرت فلسفات مادّيّة أسبغت على نفسها صفة العلميّة، اختفى الإلهيّ تمامًا من الرؤية العلميّة، فتجاهل العلماء تذكّر الله واحتفظوا بالانقسام الديكارتيّ الفكر والمادّة، وصار الفراغ الروحيّ من المميّزات الأساسيّة

للحضارة الغربيّة ولاحقًا صار للفكر علومه الإنسانيّة وللمادّة علومها الطبيعيّة.

ثمّ تشدّد الفيلسوف بوبر في التمييز بين العلم واللاعلم وفي استبعاد الذاتيّة التي تفسد على العلم موضوعيّته وتحدّث عن معيار التكوين حيث لا يمكن لأيّ عدد من القضايا الجزئيّة أن يثبت صدق قضيّة كلّيّة ولكن يمكن لقضيّة جزئيّة واحدة أن تثبت كذب القضيّة كلّها.

كما ميّز توماس كون بين العلم السويّ والعلم الشاذّ أو الثوريّ وحاول تقديم فكرة النموذج ليفسّر بها نموّ المعرفة العلميّة وربط بين العلم والمشاكل التي يطرحها الواقع وقال جان بياجيه إنّ تفسير نشأة العلم وتطوّره يتمّ بإقامة نوع من التوازن بين مراحل تطوّر العلم والعقل الإنسانيّ مستدلًا بأنّ تاريخ العلم يعمل بنفس الطريقة التي تتمّ من خلالها العمليّات العقليّة.

ورأى باشلار أنّ تطوّر العلم يتمّ عبر معرفة ماضي المعرفة العلميّة بحاضرها وأنّ قيمة تاريخ العلم في أيّ مرحلة من مراحله تكون بمقدار ما تشهد به المعرفة العلميّة النسقيّة الراهنة ودعا إلى التكامل بين العقل والتجربة تحت ما يسمّى بالعقلانيّة التجريبيّة لكنّه انحاز إلى العقلانيّة عندما استبدل العلم المحسوس بشكل من العلاقات.

لقد كانت المنفعة هدفًا، معلنًا أحيانًا ومضمرًا أحيانًا أخرى في حركة تقدّم العلم في الغرب.

مفهوم العلم في الفكر الإسلاميّ

رفض علماء المسلمين فلسفة المنطق الأرسطيّ الميتافيزيقيّ وأضافوا قوانين أخرى للمعرفة مثل الاستقراء التجريبيّ والذي هو عبارة عن معيار التحقّق لدقّة وخلاصات التجربة بصرف النظر عمّن يقوم بالتجربة وركّزوا على قواعد العلّيّة والسببيّة وعلى الاطراد في إطار المنهج الأصوليّ الذي يشترك مع المنهج العلميّ، ويمكن القول إنّ فلسفة العلم عند المسلمين تقوم على

معرفة المعلوم على ما هو عليه بوجهَيه: المحسوس الطبيعيّ والتجريبيّ الغيبيّ كما دلّ عليه الوحي، وبالخلاصة فقد استخدم علماء المسلمين المنهج العلميّ التجريبيّ واستعملوه في مجالات متعدّدة وتقدّموا به، وعندما تخلّوا عنه بدت أغراض التراجع والإخفاق.

ويقوم التصوّر الإسلاميّ على اعتبار أنّ للعلم صفة ألوهيّة، فالعلم المطلق هو لله تعالى والاعتقاد هذا هو أوّل تطبيقات مفهوم التوحيد، وللعلم الإلهيّ شكلان من أشكال الظهور: ذاتيّ في الحياة الآخرة وصفاتيّ في الحياة الدنيا.

أمّا الصفاتيّ فله شكلان:

١. تكوينيّ يتمثّل في عالم الشهادة المتضمّن للكون المسخّر والإنسان المستخلف: أي تحديد البحث في الوجود الإنسانيّ والطبيعيّ (السنن الإلهيّة بالتعبير القرآنيّ).

٢. تكليفيّ ويتمثّل في عالم الغيب لمصدر المعرفة والوحي كوسيلة لمعرفته، ومعرفة القواعد الموضوعيّة المطلقة التي جاء بها الوحي والتي تضبط النشاط المعرفيّ العقليّ: الكشف عن الافتراضات الكلّيّة والتجريديّة التي تسبق البحث العلميّ.

ويترتّب على مفهوم التسخير قاعدتان:

١. الموضوعيّة التكوينيّة التي تعني بأنّ الكون ذو وجود مستقلّ عن وعي الإنسان وسابق على معرفته.

٢. السببيّة حيث يقوم الكون على أساسها وتنضبط حركته بسنن إلهيّة لا تتبدّل أي أنّ ثمّة قوانين حتميّة تضبط الأشياء والظواهر ومضمونها تحقّق السبب بتوافر المسبّب وانتفاؤه بانتفائه.

وطبقًا لمفهوم الاستخلاف القائم على إظهار الإنسان لإلوهيّة الله تعالى (العلم) يكون المطلوب من الإنسان نقطتان: التوحيد والعبادة وإعطاء المجال للمعرفة العلميّة الإنسانيّة بضوابط موضوعيّة مطلقة، ومحصّلة هذا

مدّ العلم الإنسانيّ بإمكانيّات غير محدّدة للتطوّر طالما أن لا قدرة للإنسان على الإحاطة بالعلم الإلهيّ المطلق: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٩].

ومن السهل ملاحظة أنّ العلم التكوينيّ أُطلِق للدلالة على الفروع التجريبيّة للعلم المعيّن والتي تسمّى في الفكر الغربيّ باسم العلم التجريبيّ الحامل لمعيار التجربة، فيما مصطلح العلم التكليفيّ يقابله مصطلح فلسفة العلم في الفكر الغربيّ.

مفهوم القيم بين الإسلام والغرب

يقوم الإسلام على أساس التوحيد وسيادة الإنسان تحت حكم الله والتقاء القيم الروحيّة مع القيم المادّيّة، وقيم الإسلام هي تطبيقيّة قابلة التحقيق والتكيّف مع كلّ مستجدّات التقنيّة والتطوّر والنظام، وهي قيم تنظّم حياة الفرد مع ذاته ثمّ مع الجماعة التي ينتمي إليها، تحمل نظرة متوازنة شموليّة للمجتمع وحركته، ولا تمييز فيها لقيمة على أخرى وهدفها تحقيق النموّ المتكامل في شخص الفرد وهويّة المجتمع ككلّ. وعندما نقرأ القيم الإسلاميّة ورؤيتها للعلم في سلبه وإيجابه، نراها تندرج تحت مصطلح الفضائل والأخلاق والآداب وتعود كلّها إلى مفهوم العدالة، ويتباين ترتيب القيم داخل الهرم القيميّ في الإسلام عن غيره نظرًا لتباين الاهتمامات والأولويّات وموقع الجانب الروحيّ فيها تحديدًا.

ويمكننا تقسيم القيم إلى قيم نظريّة، اقتصاديّة، جماليّة، اجتماعيّة، سياسيّة وتربويّة وهي تتّخذ أبعادًا ستّة: روحيّة، بيولوجيّة، عقليّة، انفعاليّة، اجتماعيّة وسلوكيّة. أمّا خصائص القيم الإسلاميّة فهي إلهيّة المصدر، وسطيّة، متوازنة، شاملة، إنسانيّة، ثابتة ومستمرّة.

وفيما أكّد الإسلام على أنّ القيم ثابتة وأنّها مرتبطة بالطبيعة البشريّة ذات البعدين المادّيّ ومعه أبعاد عقليّة وروحيّة تتأكّد معها علاقة القيم

---

(٩) سورة **الإسراء**، الآية ٨٥.

بالواقع[١٠]، تنطلق غالبيّة الفلسفات الغربيّة إلى تفتيت القيم وتجعل من المجتمع المصدر الوحيد للقيم وتعتبرها نسبيّة تزيل عنها قدسيّتها وقوّتها الإلزاميّة وتعتبر أيضًا أنّ الواقع هو مصدر القيم، فهي مقبولة إذ عادت بالمنفعة للصالح العامّ ومذمومة إذا لم تؤتِ ثمارها المحسوسة. فالمذاهب النفعيّة تعود بمعياريّة القيم إلى الميول والرغبات وتعتبر أنّ الطبيعة البشريّة تنحى باتّجاه أكبر قدر ممكن من اللذّة والمنفعة والأمر نفسه للمذهب البراغماتيّ الذي اعتمد المردود العمليّ معيارًا للخير والشرّ، أمّا علماء الاجتماع فقد جعلوا المجتمع مصدرًا للأخلاق.

ففي النظام الرأسماليّ، الناس متساوون أمام القانون حتّى ولو كانت أوضاعهم الاجتماعيّة مختلفة. وفي النظام الاشتراكيّ، فالاقتصاد مصدر القيم كلّها ولا سيّما الأخلاقيّة، وبالتالي، فالقيم لدى النظامين المذكورين هي قيم انتماء ذاتيّة فيما هي هي في النظام الإسلاميّ تخصّ الذات البشريّة في علاقتها مع الله ومع الآخرين وموقف الإسلام من القيم هو تعبّديّ عقائديّ لا مجرّد احترام وانتماء للجماعة، والله تعالى مصدر القيم ونموذجها الأسمى. مفاهيم العلم في الإسلام بالتالي هي كونيّة ملزمة، ولا تكون كذلك إلّا إذا استمدّت وجودها وإلزاميّتها من مصدر متعالٍ. وإلى اليوم، لا زالت البيئة الثقافيّة والفكريّة في الغرب تعتبر أنّ الغربَ وطنٌ العلوم والمعارف وأنّ تاريخ العلوم هو تاريخ التجربة الغربيّة البايكونيّة والديكارتيّة، وكلّ ما عدا ذلك جهل وتصادم مع العلم بل ظلاميّة وغيبيّة تائهة...

بالمقابل، فلقد برهنت الفيزياء الحديثة منذ بداية القرن العشرين وإلى اليوم وبكلّ وضوح وجلاء أن لا وجود لحقيقة مطلقة في المادّة وأنّ كلّ النظريّات والمفاهيم التي أنتجها العلم هي محدودة وتقريبيّة، وقوّضت

(١٠) د. حاتم السعدي، **القيم التربويّة من وجهة نظرة الفلسفة الإسلاميّة** (مكتبة العتبة الحسينيّة المقدسة، موقع دار العراق).

الاعتقاد بالحقيقة العلميّة الوحيدة من قبل أنصار ما اصطلح عليه العلمويّة النموذجيّة للحضارة الغربيّة، كما أكّدت أن لا إمكانيّة للفصل بين المادّة والروح، فيما قالت فيزياء الكمّ بشراكة العقل ومسؤوليّته في التسبّب في التجربة حيث تحصل لأنّ العقل معها وهو ليس بمعزل عنها.

لكنّ العلاقة بين مثلّث: العلم والدين والفلسفة علاقة تكامل لا تناقص ذلك أنّها جميعًا تحاول تفسير الوجود لكن على مستويات متعدّدة. فالدين يتناول الوجود على مستوى الماهية: ما هو الوجود، بدايته، نهايته، ماذا يترتّب على كلّ ذلك. والعلم يتناول الوجود على مستوى كيفيّ: البحث في ضوابط الحركة في الكون واتجاهاتها، والفلسفة تتناول الوجود على مستوى لماذا: أي لماذا العلاقة بين الوجود المطلق الماهويّ والوجود المحدود الكيفيّ.

وبالخلاصة، من السهل أن نلاحظ أنّ ثمّة اضطرابًا كبيرًا بين المفهوم الإسلاميّ حول القيم وسائر المفاهيم المتداولة عالميًّا، ويعود السبب في ذلك إلى التفاوت في فهم العلم وظيفة وهدف حيث أراد الغرب العلم أداةً للمنفعة ولم يفصل المسلمون العلم عن بُعده الإنسانيّ، ويزداد الاضطراب مع دعوات البعض لمسايرة الركب العالميّ في المضمون والشكل والاستفادة ممّا وصل إليه الغرب واعتبار أنّ قيم الإسلام اليوميّة باتت استثناءً في هذا المجال. ففي حين يعتبر البعض أنّ العولمة تسعى إلى فرض مجالٍ واحد من العلاقات الأخلاقيّة عن طريق سيطرة الاقتصاد الغربيّ وسيطرة تقنيّات العلم وفتح قنوات التواصل بين كلّ البشر، يؤكّدون على رياديّة القيم الإسلاميّة كمدخل للخلاص من أزمة الأخلاق التي تجتاح العالم ويبقى التسامح والتكتّل والتضامن والتعاون على البرّ والتقوى قيمًا نغربل وننتقي من خلالها القيم الواصلة إلينا دون إرادتنا، من فكر اقتصاديّ غربيّ علمانيّ إقصائيّ لا يقبل بمشاركة الآخر له ولا يمارس النقد على ادّعاءاته ولا يخدم إلّا أغراض القوى المهيمنة، مشكلته تبدأ من مصداقيّته التي يظهر ضعفها من خلال الشرخ بين القول والفعل وبين العلم والأخلاق.

أزمة المعايير لأخلاقيّات البحث العلميّ في الغرب

إنّ الحديث حول أزمة أخلاقيّات العلم في الغرب قد بدأ يتعاظم وبشكل أكثر جدّيّة أبّان الثورة البيولوجيّة في تسعينيّات القرن الماضي حيث انتقلت عقول وطاقات وإمكانيّات من كلّ العالم لدراسة الكون والعالم الخارجيّ إلى دراسة عالم آخر منطوٍ في داخل الإنسان وسائر الكائنات الحيّة، يعجّ بالمعجزات والعجائب، وحيث يعتبر المتابعون أنّ سلوك بعض العلماء في بحوثهم في فرع ما من هذه العلوم هو المعيار الذي على أساسه نقيم أحكامنا الخلقيّة على العلم نفسه، مكتفين بما يقدّمون من دون ربط هذه الأخلاقيّات بالأبعاد الإنسانيّة والروحيّة التي أرادها الله تعالى من خلال دعوات أنبيائه (ع).

فقد اصطدمت الغوغائيّة السياسيّة وسباق التسلّح والمنفعة الشخصيّة بالقواعد والأبعاد الإلهيّة، وحصل الاصطدام داخل بلدان الغرب الليبراليّ ودون استثناء، وتبيّن أنّ قيم المنطق العلميّ الجافّة لم تجد آذانًا صاغية لدور الفطرة البشريّة في الحكم على الأشياء وتجاوزت البُعد الإنسانيّ في عملها وانطلقت لتجد نفسها أمام سؤال خطير: إلى أين نمضي في أبحاث تهدّد الإنسانيّة بالانقراض كالسلاح النوويّ واكتشاف جينات لا مصلحة للبشريّة فيها لا بل هي في الواقع تهديد للوجود الإنسانيّ على مستوى الكرة الأرضيّة وكلّ الكون.

لذلك شكّلت أخلاقيّات العلم عقبة معنويّة أمام انطلاق مؤسّسات البحث العلميّ في الغرب من أن تتفلّت دون قيود أو ضوابط، وسرعان ما تجاوز الغرب الحرج والإرباك أمام مبادئ الأخلاقيّات اللازمة لبحث علميّ نظيف ووضع بها جانبًا في كلّ مرة كانت تصطدم بمشروعه، وبرّر أبحاثه الجائرة في كثير من الأحيان بعنوان المصلحة العليا للدولة والمصالح الاقتصاديّة والسياسيّة وحتّى التوسعيّة في بلدان العالم وأسواقه.

ففي الوقت الذي اعتبر فيه أنّ الكرامة الإنسانيّة وحريّة المرء يجب

أن تعلو فوق أيّ قيمة بحثيّة، ودعا إلى توجيه الأبحاث في مجالات علوم الأحياء والوراثة والطبّ إلى رفع معاناة الإنسان وتحسين صحّة الجنس البشريّ، إلّا أنّه أكّد على حريّة البحث العلميّ من دون توضيح أو وضع للحدود باعتباره جزءًا من حريّة التفكير التي تكفّلتها القوانين الدوليّة[١١]، لا بل لم تضع (منظمة اليونسكو عام ١٩٩٧) أي ضوابط صارمة لممارسة الأبحاث المرتبطة بالجينوم البشريّ باستثناء ما أصدرته المجموعة الأوروبيّة لأخلاقيّات العلم والتكنولوجيا الحديثة عام ١٩٩٨ بوجوب التقييم الأخلاقيّ للأبحاث وفي أجواء الشفافيّة التامّة، مكرّرة الشروط المعتادة لأيّ بحث علميّ.

وقد أخفت صحافة الغرب، على سبيل المثال، الإضاءة عن مشاريع سريّة قامت بها الولايات المتّحدة على الكائنات البشريّة أثناء الحرب الباردة، وتستّرت على دراسات حول الأساس الوراثيّ للذكاء وكان النموذج الأمريكيّ الأشدّ فظاعة للعسكرة والسباق إلى التسلّح، البرنامج الهائل الذي أطلقته الولايات المتّحدة عام ١٩٧٨ والذي رصدت له الحكومة الأمريكيّة ١٥٥٥ مليار دولار، بمعدّل صرف يوميّ يتجاوز المليار دولار وبشكل وصفه المتابعون آنذاك بالجنون النوويّ التامّ، ولا زالت حتّى اليوم شركات الأدوية تجري التجارب الكيميائيّة على البشر في أفريقيا لدراسة فعّاليّة الأدوية، ورفض عدد كبير من العلماء الحديث عن مشكلة الأخلاق في العلم معتبرين أنّ الانحراف لا يحدث كثيرًا وعندما يحدث لا يؤثّر على البيئة البحثيّة التي انطلق منها، فيما ذهب آخرون لنفي أصل المشكلة الأخلاقيّة في عالم البحث العلميّ طالما أنّهم ينظرون إلى العلم بوصفه موضوعيًّا، حيث يدرّس الوقائع ويستخدم مناهج معروفة، واعتبر علماء في مجال آخر أنّ بحثهم العلميّ هو مهنة عليهم النشر حولها حتّى يستمرّوا في تقدّمهم المهنيّ وتزداد الموازنة المخصّصة لهم وإلّا نفتهم الجامعة خارجها، ولذا

---

(١١) د. محمّد عفيفي، **أخلاقيّات العلم**، كتاب الهلال عدد ٥٩٧، (٢٠٠٦).

كان بعضهم مفتونًا بانتهاك المبادئ الأخلاقيّة وذلك من أجل التقدّم في مسارهم المهنيّ.

وبناءً على ما تقدّم، نجد في الغرب ثمّة مَن يقسّم أهداف العلم إلى إطارين: أهداف معرفيّة وأهداف عمليّة[١٢]. الأهداف المعرفية أنشطة تتقدّم على ضوئها المعارف البشريّة وتتضمّن وصفًا دقيقًا للطبيعة ونظريّات وفروض تفسيريّة متنامية يتمّ تناقلها وتطويرها من جيلٍ إلى جيل. أمّا الأهداف العمليّة فهي في الواقع حلّ لمشاكل معيّنة في الطبّ والهندسة والاقتصاد والزراعة باتّجاه تحسين صحّة البشر وزيادة القوّة التكنولوجيّة والسيطرة على الطبيعة، ويذهب هؤلاء إلى تحديد مبادئ أخلاقيّات العلم بالعناصر التالية: الأمانة، الحذر واليقظة، الانفتاح والتشارك في البحث عن المعرفة، الحريّة كمفتاح للإبداع بعيدًا عن ضغوط المموّلين والحكومات، ثمّ التقدير والتكريم، نقل المعرفة دون قيود، المسؤوليّة تجاه المجتمع بعدم استجلاب الضرر له، الالتزام بالأطر الموضوعيّة والاحترام المتبادل واحترام الذات، ونتيجة لذلك غاب التفاعل المطلوب بين وجهتي العلم: المعرفيّة والعمليّة وتضرّرت كلّ منهما، فابتعد العلم التجريبيّ عن الضوابط المنظّمة لحركته ولآفاق عمله المستقبليّة، وتضرّرت العلوم الإنسانيّة بخسارة حقائق ووجهات عمل لديها كانت لتغنيها ولا شكّ في حركتها المستقبليّة نحو فهم أعمق لحقائق الكون والإنسان، وكان المبرّر الحقيقيّ لهذا الانفصال المتعمّد خشية بعض الدول عن فقد أولويّتها في السباق المحموم في ساحة العلم، انطلاقًا من قناعتها أنّ التقدّم العلميّ سيكون أداة الاقتدار والتسيّد في الساحة الدوليّة، فضلًا عن كونه أداة غنى ورفاهيّة وردع لمواجهة طغيان الدول الأخرى.

أمّا على مستوى النشر، فتتحدّد أخلاقيّات العلم بالعمل الموضوعيّ في النشر وفي الدور المفصليّ للجان التحكيم التي تطلق أحكامها على الموضوع

---

(١٢) دايفيد رزنيك، **أخلاقيّات العلم**، سلسلة عالم المعرفة ٣١٦ (الكويت: ٢٠٠٥).

سلبًا أم إيجابًا وضرورة إيلاء التقدير لمستحقّه مع ضرورة ضبط كلّ أشكال الانتحال، مع احترام الملكيّة الفكريّة وتقدير المستحقّ وتكريمه.

وتطرح بقوّة مشكلة العلاقة بين الناس ونتائج البحث العلميّ والتي قد تتحوّل أحيانًا إلى سوء تفاهم سببه: افتقار العامّة من الناس إلى المعطيات الأوّليّة عن العلم وإلى فهم النظريّات المعقدة والمعلومات الإحصائيّة وتفضيلهم العلوم المسطّحة والبالية مع رفضهم العمل العبقريّ، وتساهم وسائل الإعلام في إساءة فهم العلم عن طريق التقديم الخاطئ أو التبسيط الزائد للفكرة أو الاعتماد على مصادر غير موثوقة لجهة توافر الجدّيّة والدقّة والحذر والأمانة العلميّة في إدارة البحث واستخلاص النتائج أو تطبيقها، وعلى الرغم من قرارات الحظر التي أصدرها الكونغرس الأمريكيّ بحظر الأموال الفدراليّة لتمويل الأبحاث المستخدمة للأجنّة إلّا أنّه وفي العام ١٩٩٩ عاد عن قراراته ورفع الحظر عن هذه الأبحاث وكذلك فعلت المجموعة الأوروبيّة لأخلاقيّات العلم والتكنولوجيا، ولا زال العلماء يضغطون لرفع القيود عن الأبحاث مستندين إلى ورقة رابحة مفادها أنّ سرعة التقدّم في البحوث العلميّة تتجاوز القوانين القائمة وتتجاوز المفاهيم القائمة في المجتمع والتي تريد استيعاب تلك المتغيّرات.

وقد وقف العلم أمام تحدّيات أخلاقيّة كبيرة كان منها على سبيل الذكر في مجالات الطب: أولويّة المحافظة على الحياة البشريّة وقضيّة القتل الرحيم والترويج السائب للأدوية وشاعت نماذج الإساءة إلى إنسانيّة الإنسان بمعالجة هذه المعضلات وأزهقت أرواح بشريّة كثيرة مرّة جديدة في الصراع بين الممارسة الخاطئة والمنفعة البشريّة المباشرة وكان النصر حينها للمادّة والمصلحة وفازت شركات التأمين ومصانع الأدوية في المعركة ككلّ مرّة وبانت جوانب مظلمة من النتيجة: استفحال الفقر والجوع وانتشار الأوبئة في جهات العالم الأربعة وتبيّن أنّ المرتكزات الحاكمة لأخلاقيّات العلم في الغرب وعلى الرغم من أدبيّاتها الكثيرة وظهور المقالات والكتب

والمؤتمرات والتوصيات، كانت أقلّ من مستوى المواجهة وأنّ لجشع الغرب ولوحشيّته الكلمة المسموعة في نهاية المطاف.

وحول التجارب على البشر، انطلق البحث العلميّ لضبط الانفلات في هتك أخلاقيّات العلم وسعى جدّيًّا بهذا الاتّجاه حماية لنفسه ولبني جلدته وأطلق ما عُرف بمدوّنة نورمبرغ (١٩٤٩) والتي نصّت على موافقة المريض على التجربة وعلمه بالعواقب وعلى أن تكون التجربة ذات أثر على المجتمع ككلّ وغير مؤذية وعلى أن يجريها علماء مؤهّلون يحافظون على السرّيّة والخصوصيّة للمريض عند الضرورة وكلّ ذلك انطلاقًا من أنّ البشر يملكون قيمة متأصلة بهم.

إنّ أفراد المجتمع هم محتاجون إلى الدراية الكافية بأمور وحقائق البحوث المخبريّة وذلك لتمكينهم من الحماية من مخاطر العلم العبثيّ، والعالم في المختبر يكون أسير صراع بين شخصيّتين له: شخصيّة العالم المحترف ذي السلطة العلميّة المكافح من أجل الموضوعيّة والأمانة، وشخصيّة المواطن الذي يمتلك الحقّ في التعبير عن آرائه الذاتيّة والحريّة في التفكير واستثمار المعلومات لتطوير مشاريع سياسيّة واجتماعيّة كما أنّ شهادة الخبرة التي يؤدّيها العالم الباحث في المحكمة قد تكون مفصليّة لاتّهام أو لتبرئة متّهم أو لإثبات مسؤوليّة قانونيّة لشركة أو مؤسّسة ما، فهي قناة إلى صراع المصلحة بين وضعه الفرديّ والتزامه كباحث موضوعيّ.

الأخلاقيّات الطبيّة نموذجًا

تعود مسألة الأخلاقيّات الطبيّة إلى قديم التاريخ، فقد بدأت أيّام اليونان وحصرت آنذاك بعلوم ثلاثة: اللياقة والذوق، الواجبات المهنيّة والأخلاقيّات السياسيّة وقد توضّحت هذه العناوين من خلال قسم أبقراط الشهير وارتبطت الفلسفة بالطبّ ارتباطًا عضويًّا فيما ظهرت أيّام المسلمين من خلال الأطبّاء المشهورين الرازي والأهوازي وابن سينا، ثمّ توضّحت في

القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مع الطبّ البريطانيّ وتداول المجتمع الطبيّ بمصطلح الأخلاقيّات الطبيّة، ثمّ انتقل التقدّم الطبيّ إلى أمريكا مع الهجرة البريطانيّة وظهر ما عرف بميثاق الأخلاق الطبيّة:

١- أنّ حياة الإنسان محترمة وكذلك كرامته وحقّه في صون أسراره.

٢- أنّ احترام كرامة الإنسان يتطلّب الإقرار بحريّته في الاختيار، ويقضي احترام اختياره، سواء كان اختياره بالقبول أو الرفض.

٣- أنّ جلب المنفعة ودرء المفسدة مبدآن متكاملان، يفرضان على الباحث السعي بكلّ طاقته لتحقيق كلّ ما فيه مصلحة الإنسان ودرء الضرر عنه قدر المستطاع.

٤- أنّ العدل يقتضي المساواة بين البشر في المعاملة.

ويذهب البعض للقول إنّ للحياة خاصيّة مرتبطة بالوجود الإنسانيّ، وهي تعلو على أيّ تجربة أو إنجاز بشريّ، وهي أسمى من ذلك وهي موجودة قبل كلّ هذه الأشياء(١٣) وقدسيّة الحياة تشكّل المصدر الأخلاقيّ لإنتاج الأحكام والوجبات والالتزامات الفرديّة والجماعيّة. وبعد التطوّر السريع في اكتشافات الطبّ باكتشاف المضادات الحيويّة وأدوية الضغط والسرطان وتطوّر الجراحة في القلب والدماغ، ظهرت أحداث طبيّة مشهورة تعاظمت معها الحاجة إلى أخلاق طبيّة جديدة متطوّرة ولكن غاية في الضرورة نظرًا للإشكالات التي سببّتها على مستوى حياة الإنسان وقدسيّتها وقرار المضيّ في حياة على الآلات أو قرار إلغائها، ونستعرض منها(١٤).

١- محاكمة الأطباء في نورمبرج بعد الحرب العالمية الثانية وهؤلاء اتّهموا بالتعذيب والقتل وممارسة تجارب طبيّة على المعتقلين قتلت العديد منهم وأصابت بعضهم في تشوّهات دائمة.

---

(١٣) Mc Cormick. R.A. "how Brave A New World?" SCM Press LTD. England. 1981. P389

(١٤) مصطفى خوجلي، **التحدّيات الأخلاقيّة وسبل التعاطي معها**، كتاب القيم والتعليم (٣) (بيروت: الهيئة اللبنانيّة للعلوم التربويّة، ٢٠٠١).

٢- التصرّف حيال حالات الموت الدماغيّ حيث ظهر مأزق الحفاظ على الحياة التي تضمّن الآلات فقط استمرارها لسنوات بالرغم من فقدان المريض لوعيه النهائيّ حيث ظهرت الحاجة إلى تعريف جديد للموت.

٣- فضيحة البحث الطبيّ على ٦٠٠ مواطن أسود في أمريكا طيلة أربعين عامًا حيث أُخضِع هؤلاء للإصابة بمرض الزهري لتتمّ مراقبة نموّه في الجسم ودونما علاج، وقد سبّب الحادث صدمة في كلّ أنحاء العالم وعلى الرغم من توفّر الدواءلم يتورّع الباحثون عن الاستمرار في تجاربهم غير الأخلاقيّة.

هذه الحالات وغيرها الكثير ممّا لا يتّسع له المقام وممّا يندرج كنتيجة تقدّم التكنولوجيا قد ولّدت أسئلة عدّة منها: إجراء التجارب دون علم المريض أو دون موافقته، تعريف الحياة متى تنتهي وما هي المؤشّرات على ذلك، الإشكالات اللاحقة بمشروع الجينوم البشريّ، السماح باستنساخ بشر والتحكّم بالمورثات والجينات، وقد اندرجت الإجابات عبر مفهوم الأخلاق الحيويّة الذي ظهر في ستينيّات القرن الماضي وحدّد القيم الطبيّة وأوجد الأجوبة على كلّ الأسئلة المطروحة وأوجد العروة الوثقى بين التقدّم التقنيّ والقيم الإنسانيّة 'لعليا، وكانت المشكلة كما نلاحظ تتجدّد في كلّ مرّة تأتي التكنولوجيا بجديد عاجل ومذهل وتجرّ الباحثين إلى إجابات لم تكن شافية أحيانًا بل لا زال النقاش فيها حتّى اليوم...

الأبحاث الصناعيّة السرّيّة

وهناك جانب من العلم والبحث العلميّ قلّما يُثار حوله النقاش ونعني به «الصناعات العلميّة المغلقة» التي تبغي أقصى قدر من الربح وتصطدم ولا بدّ بالأمانة والانفتاح وسائر مبادئ وأخلاقيّات البحث العلميّ، وتزداد الأمور حراجة عند طرح مسألة عمل شركات التصنيع العسكريّ وفي هذا

الجانب يزداد استخدام الموظّفين والباحثين ويتحوّل الربح الماديّ الوفير إلى إله يعبده روّاد الأروقة العلميّة وتزداد المعضلات الأخلاقيّة في إطار السرّيّة كقاعدة وأساس لعمل المراكز البحثيّة الصناعيّة والعسكريّة، والسؤال الذي يطرح نفسه كيف يتمّ التوافق بين السرّيّة وأخلاقيّات العلم؟.

إنّ الوقائع التي يتداول بها المجتمع العربيّ تؤكّد توقّع نسبة عالية من الغشّ في ميدان الصناعة طالما كانت الدوافع الاقتصاديّة للبحث العلميّ الصناعيّ أكثر منها في البحث الأكاديميّ وتذهب القوانين المعمول بها في الغرب عمومًا إلى اعتبار أنّ رفع الصوت ضدّ أيّ تجاوز علميّ أو مهنيّ هو خرق لمبدأ السرّيّة، وبالتالي تعرّض من يقوم بها للمساءلة القانونيّة! والقوانين أيضًا تقدّم حلًّا عند وجود الانتهاك لمبادئ أخلاقيّات العلم وهي أن يقوم من يرفع الصوت بتقديم الأدلّة والإبلاغ عن الانتهاك بقنوات مناسبة، ولكن من يدري إن كان يؤخذ بالأدلّة أم تكون مجرّد متنفّس لاستيعاب ولتدجين الشكاوى ضدّ المؤسّسات الصناعيّة! وإلّا تعرّض من يرفع الصوت إلى مخاطر الطرد والمحاكم ولربّما الاغتيال.

وللحدّ من نتائج الأبحاث العلميّة السرّيّة والأبحاث الخادعة والأبحاث التي تتضارب مع المعايير الأخلاقيّة للذات الإنسانيّة، فإنّنا نجد ثمّة من يطرح إشراف الرأي العامّ كشرط الموافقة على تمويل مشروع ما من عدمه، لكن ثمّة من يقول بأنّ الرأي العامّ هو من يجب أن يحدّد أولويّات الأبحاث وأولويّات تمويلها، بمعنى أن يشرف على سياسات تمويل العلم، وطبعًا هناك مشاكل عدّة ترافق هذه الطروحات أوّلها عدم قدرة جمهور الناس على تحديد الأفضليّة العلميّة لبحث ما وعدم كفاءة الجمهور لمراجعة مشاريع الأبحاث وفهمها تمهيدًا لتحديد الأولويّات منها.

معضلة البحوث العسكريّة

تتعمّق المشكلة أكثر وتزداد التجاوزات في الصناعات العسكريّة ومع ازدياد

الموازنات بشكل هائل ومع توقّع النتائج الانقلابيّة والاستراتيجيّة كإنجاز القنبلة النوويّة مثلًا، حيث تصادر المؤسّسات العسكريّة حقوق البحث وبراءات الاختراع فلا يملك الباحثون أيًّا من الحقوق الفكريّة وحقوق الاستخدام للمنتج.

وتكاد تجمع كلّ القوى الكبرى عالميًّا على ضرورة إجراء الأبحاث العلميّة وتؤكّد أنّ إجراء هذه البحوث مقدّمة ضروريّة لحماية وتدعيم الأمن القوميّ للدول ذات السيادة. فالبحث العلميّ العسكريّ مشروع فقط للدول المنضوية تحت عنوان الشرعيّة الدوليّة والمجتمع الدوليّ والتي تعترف بسيادة الأمم الأخرى وترتبط بالاتّفاقات الدوليّة المتعلّقة بالحرب والسيطرة على الإرهاب، فيما هي ممنوعة عن «الأمم والدول الخارجة عن القانون»، وهنا يتولّد النقاش الأهمّ في عمليّة تصنيف الدول وفرز المنضوي من الخارج عن القانون الدوليّ.

ويحضر عنصر آخر في ملف الأبحاث العلميّة العسكريّة وهو السرّيّة فكما أنّ أصل إجراء الأبحاث ضروريّ إلّا أنّ السرّيّة شرط من شروط نجاحه فهي أيضًا مبرّرة في المجتمع الدوليّ لتحصيل التفوّق ولنجاح تنفيذ العمليّات العسكريّة، وهنا أيضًا قد يجري انتهاك كلّ مبادئ وعناوين أخلاقيّات العلم والمسألة سهلة لكونها مغطّاة بحقّ الشروع في الأبحاث وبحقّ الحفاظ على سرّيّتها!.

ويتوقّف المتابع هنا للقول إنّ أخلاقيّات العلم تسقط في كلّ مرّة تصطدم بحقّ الدول للدفاع عن نفسها والأهمّ لبيع السلاح الفتّاك وسلاح الدمار الشامل إلى الأمم الأخرى على ما في الأمر من توفير سيولة ماليّة ورفاهيّة اقتصاديّة.

وتحت عنوان السرّيّة، يتمّ إجراء البحوث على البشر وتتغيّر وجهة البحث وتتضاعف أرقام موازنة البحث العسكريّ لتصبح خياليّة وعبرها يتمّ خداع وتضليل الرأي العامّ كما حدث في الولايات المتّحدة الأمريكيّة

مرّات عدّة نذكر منها على سبيل المثال: مشروع الدفاع الاستراتيجيّ أيّام الرئيس ريغان الذي أطلق المشروع موصفًا إيّاه درعًا واقية تحمي أمريكا من أيّ هجوم نوويّ من روسيا ثمّ فشل المشروع فشلًا ذريعًا وسرعان ما تحوّل عنوان المشروع إلى عنوان آخر مختلف عن العنوان الأساس وهكذا تمّ خداع الكونغرس والشعب الأمريكيّ واستمرّ المشروع.

ويبقى الكلام عن تبرير سرّيّة الأبحاث العسكريّة مرفوضًا طالما هو حقّ إنتقائي تعطيه الدول المستكبرة لمن تشاء وتمنعه عمّن تشاء وتوفّر هذا الحقّ للدول الحليفة لها وتحظّر باسم الشرعيّة الدوليّة على الدول المعادية ولا نطيل في الحديث إذا وضعنا كيفيّة تعاطي المجتمع الدوليّ مع سرّيّة السلاح النوويّ الإسرائيليّ كمثال.

إنّ العلم اليوم بالنسبة للغرب يؤدّي إلى قوّة عسكريّة وسلطة ردع، والعلم يؤدّي إلى استثمار اقتصاديّ مربح وحيثما تجد عالمًا فيه صراعات وأقطاب متنافسون فإنّ تمويل البحث العلميّ مسألة تطال الأمن القوميّ للدول الكبرى خصوصًا وكلّ ذلك على حساب تمويل الأبحاث في المواضيع ذات الإطار النظريّ والإنسانيّ التي حلّت في المرتبة الثانية في الأولويّة .

يمكن القول هنا وبعد هذا العرض إنّه ثمّة أسئلة كبيرة لا زالت أمام المجتمع الدوليّ من دون إجابة، وهي:

- لمن الأولويّة؟ للبحث العلميّ أم للمعايير الأخلاقيّة والقيم الإنسانيّة عند اصطدام الطرفين ببعضهما البعض لا سيّما وأنّنا نسمع اليوم كلامًا يدعوا إلى تحرير العلم من أيّة قيود ليصبح في واقع الحال إلهًا يعبد لهم.
- لمن الأولويّة؟ للبحث العلميّ المتفلّت من أيّ عقال أم للعناوين الكبرى لنموّ ونهضة الدول: العنوان العسكريّ والعنوان الاقتصاديّ اللازمين لاستمرار وحماية الدول وقدرتها على السيطرة والاستعمار؟
- لمن الأولويّة؟ للبحث العلميّ المفتوح على مصراعيه أم للمفاهيم

الدينيّة القائمة في المجتمع؟ وقد اصطدم الطرفان في الغرب منذ قرون وكانت الغلبة للعلم عندما أخطأت الكنيسة في تقديمها طروحات ومعادلات غير علميّة قدّمتها بعنوان العلم وحاولت فرضها مستندة إلى نفوذها وسلطاتها الدينيّة ودفعت الثمن غاليًا بعد الثورة العالميّة وقيّد المجتمع حركتها وباتت واقعًا ودورًا هامشيّين.

- لماذا لا يتمّ التوافق بين مختلف أروقة البحث العلميّ في العالم على معايير محدّدة تزيل الغموض والجدل حول أخلاقيّات العلم؟ في وقت لم تقف جهود الأمم المتّحدة واليونيسكو لتوحيد هذه المعايير حتّى اليوم على الرغم من إعلان وثائق متعدّدة حول الموضوع، فالمشكلة قائمة ما دام الخرق قائمًا وعلى أكثر من صعيد وفي أكثر من بلد في العالم.

يقول الباحث الفرنسي جان ماري بيلت: «إنّ الارتقاء من القيود الغرائزيّة إلى الأفعال الإراديّة القائمة على القيم تستلزم خيارات وقرارات صعبة وشاقّة، وإنّه بهذه الأفعال والقرارات تنبثق الإنسانيّة تدريجًا من الحيوانيّة»(١٥).

وانضباط الإنسان في إطار منظومة القيم هي صراع مع مغريات السلطة والمال ونجاح للرؤية الهادئة للإنسان ولمستقبله أمام مجاراة نتائج الآلة والتقديمات التي تأخذ به إلى الحياة السهلة وسريعة المكاسب، والآلة وبدعم وانفلات النفس الإنسانيّة نحو السيطرة والربح وإملاء إرادة القوى المستكبرة على الشعوب المستضعفة لا تتوقّف ولا يبدو أنّها ستتوقّف مستقبلًا عن اجتياح منظومة القيم فارضة عليها قوانين الإنتاج ورافضة لكلّ ما يعيق ديناميّتها وهنا تبرز الأزمة الحقيقيّة، فالآلة صارت شريكًا مع غريزة القوّة والسيطرة والتملّك نحو تنافسات شرسة، وباتت سلاحًا يملكه البعض من البشر ويستفيدون منه لكسر إرادة ورفاهيّة الشعوب الأخرى وخصوصًا تلك التي تملك الثروات الجوفيّة والمواد الخامّ...

---

(١٥) جون ماري بيلت، **عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة**، سلسلة عالم المعرفة ١٨٩ (الكويت: ١٩٩٤).

إنّ سيادة القيم تعني انتصارًا لنظام إنسانيّ متبصّر، حازم، متوافق مع الفطرة الإنسانيّة وإرادتها الخيّرة ومستقبلًا مشرقًا لإنسان اليوم وأمانًا لأجيالنا القادمة التي أدخلناها دون أن نسألها في إطار تهديد وجوديّ لم تعشه الإنسانيّة قبلًا وهنا يمكن التهديد.

حلول مطروحة في الغرب لاحترام أخلاقيّات العلم الفرديّة

ثمّة من يطرح قنوات عمل للحدّ من التفلّت من مبادئ أخلاقيّات العلم وفي طليعتها تدريس مبادئ أخلاقيّات العلم في المدارس ومن ضمن البرامج التربويّة المدرسيّة وذلك في إطار تشكيل وتأصيل السلوك الإنسانيّ وثمّ الانتقال إلى عيش التجربة في المؤسّسات البحثيّة وإعلاء شأنها في هذه المؤسّسات وأيضًا استحداث نظام للعقوبات من تحذير ورفع الصوت أو إلغاء المصداقيّة على العمل العلميّ موضوع الخرق للأخلاقيّات ووقف النشر في المجلّات العلميّة ذات القيمة وصولًا إلى الإقصاء عن المؤتمرات العلميّة المحلّيّة والعالميّة ووقف الدعم والتمويل على أن تتمّ كلّ تلك الإجراءات في إطار هيئات علميّة حاكمة ذات سلطة وقرار ولجان دوليّة تراقب أداء المؤسّسات البحثيّة لأجل فرض احترام أخلاقيّات البحث العلميّ.

وهناك محاولات لا زالت فرص نجاحها محدودة وهي جعل البحث العلميّ مهنة نستسهل بعدها طرح ضوابط وقيود لها أسوة بسائر المهن من ترخيص لمزاولة المهنة يكون فرديًّا أم جماعيًّا أو ترخيص مؤسّسة بحثيّة للمزاولة، وقد نصل بعدها فعلًا لا قولًا إلى تثبيت معايير مهنيّة واضحة تعالج الفوضى وتضع حدًّا للتفلّت من مبادئ أخلاقيّات البحث العلميّ، إلّا أنّ أصواتًا لا تحبّذ الفكرة لكونها تقضي على عمل الهواة وتضع حدًّا للإبداع العلميّ مستندين إلى أنّ تاريخ تطوّر العلم هو تاريخ إبداع لا تاريخ مزاولة لمهنة البحث... لكنّ السؤال الأهمّ من هي الجهة التي ستضبط برامج الدول الجامحة نحو مشاريع القتل الأسرع ونحو استخدام العلم سلاحًا

قاهرًا للطموح ومستقبل الأمم الضعيفة، ثمّ من هي الجهة الناظمة لأصول المهنة ومن سيمنح التراخيص للبعض وسيحجبها عن البعض الآخر، هل نرى تجربة أخرى من تجارب المؤسّسات الدوليّة الواقعة تحت تأثير الغرب عمومًا والولايات المتّحدة خصوصًا.

خلاصة

لقد جعل بعض رجال الكنيسة في القرون الوسطى بعض النظريّات العلميّة آنذاك جزءًا من الدين المسيحيّ وأتت الدعوة من النخب في الغرب لفصل العلم عن الدين كردّ فعل متطرّف على موقف بعض رجال الكنيسة، وتأكّد الإنشقاق بظهور تيّارات العلمانيّة ومنها المتطرّف وبالدعوة إلى حصر الدين بالإطار الألوهيّ الكنسيّ المستقلّ تمامًا عن الحياة وعن مسار العلم والبحث العلميّ تحديدًا، فتسيد منطق النفعيّة وتعتبر الحقيقة الكاملة في الكون كامنة في العلم فقط دون غيره وأنّ الإنسان قادر على تذليل كلّ جبروت الطبيعة والتحكّم بها وفي قوانينها، والتجربة دون غيرها سبيل وحيد ومعيار متكامل للمعرفة.

وكان لهذا الصدع الأثر البارز في نفي القيم الروحيّة العليا في الرسالات السماويّة، وفي رفض الدين في المجتمع واعتباره شأنًا داخليًّا لا يحتاجه المجتمع طالما أنّ القوانين الوضعيّة والقوانين العلميّة هي الحاكمة، فصار المفهوم السائد مرتكزًا على المادّة كإله، وباتت المصلحة الفرديّة أساسًا، وباتت المنفعة قيمة منطقيّة يعُمل بها، وهذه المفاهيم قد تبلورت مجتمعة في عدد من الفلسفات الإلحاديّة والوضعيّة وتوّجت بالأيديولوجيا الماركسيّة، وجرى تعميمها إلى العلاقات البشريّة لتعلن ولادة مستقبل جديد في الغرب، لم يلبث إلّا وظهرت عثراته الشديدة وعلا صوت الإنسان كإنسان تجاه عدد من المشاكل الحقيقيّة التي حكت عن الآلام الكامنة في مجتمع الغرب ومنها للذكر فقط لا للحصر: تفكّك الروابط الأسريّة والاستعاضة

عنها بالرفق بالحيوان كمظهر من مظاهر فشل الثقة بالإنسان، المرأة سلعة في دورة الاقتصاد، بروز تيّارات صوفيّة وبوذيّة وروحانيّة متنوّعة، ظواهر اللأفق والانتحار وما شابه.

وفي السياق عينه، أتت الأحزاب السياسيّة والعقائديّة لتستفيد من سيادة هذه القيم الجديدة وتبرر المصلحة العليا للدولة وترتكب تحت رايتها خطايا الاستعمار ونهب ثروات الأمم المستضعفة وتستبيح سيادتها وحقّ الشعوب الفقيرة في القرار، فكانت مآسي الاحتلالات وكان الاستعمار ثمّ كان الانتداب وبعده صار لهذه الدول استقلال شكليّ لأنّ المجتمع المستضعف بات منتجًا لقيادات ولسلطات تحمل الولاء والطاعة للغرب وتنحني أمام نموذجه الأصمّ فبقيت دائرة المعاناة، من دون أن نغفل مسؤوليّة الشعوب والقيادات في الأمم المستضعفة بالقبول بالخنوع وعدم الثورة، ولا زالت سياسة الدول الصناعيّة عينها تنتج سباق التسلّح فيما بينها وتمعن في تغيير طبيعة الكرة الأرضيّة وترفع حرارتها وتصدع توازناتها البيئيّة بالتلوّث الذي بات عالميًّا وبأزمات التسمّم الغذائيّ وبروز الأمراض السرطانيّة المستعصية على نحو لم تعرفه البشريّة من قبل، ويبقى علينا ألّا ننسى مآثر الغرب وإنتاجاته المشينة للإنسانيّة التي دفعت ولا تزال ثمن طغيان مادّيّته ومصالحه، نعني بذلك الحربين العالميّتين اللتين اندرجتا تحت عنوان صراع الأمم للسيطرة على الثروات والمواد الخامّ وأسواق التصدير، واللتين سبّبتا بسقوط ما يناهز مئة مليون قتيل، وهذه الحروب وما جرى فيها ندبة على وجه الإنسانيّة وجرح لا يندمل بسهولة ووصمة في تاريخ الإنسان، نأمل ألّا تتكرّر، مع عدم إغفال تعمّد بلد يتشدّق بالحريّة والعلم كالولايات المتّحدة في استعمال السلاح النوويّ مرّتين ضدّ مدن آمنة مكتظّة بالمدنيّين متعمّدة القتل والإيذاء للأبرياء فقط للضغط على الخصم اليابانيّ والانتصار عليه.

إذن، وبعد عرض التعريفات والتطبيقات لأخلاقيّات العلم لدى الغرب،

فإنّنا نسجّل الاستغراق النظريّ حول أدبيّات وأخلاقيّات العلوم والبحث العلميّ في مجتمع الغرب والواضحة في إطارها الفرديّ والمخبريّ، وفصل هذه العناوين عن التجربة وميدان العمل العامّ السياسيّ بحيث إنّ المفارقة عند الغرب تظهر من خلال: تأسيس جديٍّ لموضوع أخلاقيّات العلم لدى الأوساط السياسيّة والعلميّة الغربيّة يقابله اجتياح القرار السياسيّ الغربيّ لكلّ مندرجات أخلاقيّات العلم لديه ووضع كلّ الكلام معطوفًا على حلول سطحيّة لا تكاد تلامس جوهر الأزمة، وهو قد تشدّد بصناعة مفاهيم أخلاقيّة أرادها حاكمة على عمله العلميّ وأطال الحديث عنها لكنّه لم يحترم مضامينها ولم يتقيّد بمندرجاتها، وهي قد تحوّلت في الواقع إلى متنفّس لبعض الحركات الاجتماعيّة والمدنيّة والإنسانيّة بداخله، لكن في الواقع كانت قواعد المنفعة والسيطرة والاستحواذ إلهًا يعبد في مراكز الأبحاث ومؤسّسات التعليم لديه، ومرتكزات الاستعمار والطغيان لدى الدول الغربيّة الحاضنة للبحث العلميّ والباحثة عن اقتصاد متين ولو على جماجم سائر بني البشر.

كما أنّ قالب الأخلاقيّات التي قدّمها اتّسم بطابع النفعيّة ثمّ الفرديّة البحتة، فمضامينها تركّز على مواصفات الباحث الفرد، وتتحدّث عن سلوكيّات الباحث وتأسّست عليه مواصفات محدّدة وفي أبعد الأحوال سلوكيّات منظومة البحث ومؤسّسته التعليميّة العليا الراعية لبرامجه... وهنا يمكن القول إنّ ثمّة التزامًا وسطيًّا بمبادئ ومضامين أخلاقيّات البحث العلميّ لدى الفرد كفرد في الغرب، لكن بمجرّد أن نخرج من شروط ومعايير الباحث الفرد نصطدم فورًا بالمشكلة، وهي أي إحاطة نتائج العلم والبحث العلميّ الراقية بمنظومة القناعات الفلسفيّة وثمّ الاجتماعيّة والسياسيّة الحاكمة على الجماعة ككلّ والتي تقوم على المنفعة والليبراليّة والسماح باستغلال ثروات الأمم الأخرى واحتكار التفوّق واستغلاله باتّجاه السيطرة والتسيّد العالميّ، وبالنتيجة ضياع منظومة القيم وبقائها عناوين

راقية برّاقة يتغنّى بها الجميع وتقف مفاعيلها عند حدود المصالح القوميّة والقيم الحاكمة على سياسة الدول والأمم في الساحة العالميّة.

أحببنا أن نستعرض تاريخ ومنشأ القيم وإسقاطها للعلم وفق المنظور الغربيّ كأرضيّة صحيحة نحاول أن نفهم من خلالها خلفيّات المفهوم الغربيّ للعلم ولأخلاقيّات العلم الذي اعتمد المنفعة هدفًا من العلوم والمعارف، وبرّرها في إطار المفهوم العامّ لليبراليّة، ومن ثمّ سننطلق لتشخيص الحلّ وإيجاد البديل باقين في إطار الالتزام بمعايير إنسانيّة الإنسان كمرتكز، نتحرّك من خلالها لنفهم أيّ علم نريد وإلى أين نصل به وإلى أن يصل بنا في نهاية المطاف، حيث وإزاء هذا الجوّ القاتم ونظرًا لشدّة الحاجة إلى نموذج تستكين له الإنسانيّة وتطمئنّ إلى مستقبلها وتعالج فيه قلقها المتناهي من التطوّر العلميّ الآخذ بها إلى المجهول، فإنّنا سنتوقّف عند كلام تأسيسيّ عميق ومحكم صدر ويصدر في أكثر من مناسبة وطيلة أكثر من خمس عشرة سنة ولا زال حول أزمة أخلاقيّات العلم ونعني به كلام الإمام السيّد عليّ الخامنئيّ، والأمر المثير للانتباه هو شدّة الوضوح لديه والرؤية الثاقبة والترابط في مناولته للمسألة على نحو يجعله الوحيد على الساحة العالميّة الذي يخوض في عمليّة تعريفيّة موحّدة لأخلاقيّات العلم يقدّمها كبديل في إطار رؤية تقييميّة شاملة لتعاطي الغرب مع أخلاقيّات العلم، وينتقد بقوّة وبإحكام هذه التجربة، ثمّ يقدّم البديل الإسلاميّ للتقدّم والنظرة الإنسانيّة العميقة للعلم وأهدافه من وجهة النظر الإسلاميّة ويعالجها كسبيل خلاص للإنسانيّة تمنع احتكاره وتجعله ذا بعد إنسانيّ متاح لبني البشر وتبرّر السعي إليه فقط في الصالح الإنسانيّ العامّ.

وهذا الأمر قد أثار الفضول ودفعنا لدراسة أطروحة الإمام من خلال رصد العديد من خطاباته وكلماته وتجميعها وصياغتها كبديل يقدّم، على أن ندرس التجربة العلميّة لنهوض الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة كمصداق على صحّة وتماسك الطرح وكعلامة فارقة في تجارب النهوض

الدوليّة، حيث شكّل عمر الجمهوريّة الإسلاميّة الممتدّ لأكثر من ثلاثين عامًا فترة زمنيّة قياسيّة عجزت عن تفسيرها نظريّات الاختصاص الاقتصاديّ والإنمائيّ وأنتجت ثورة علميّة تألّقت على كلّ المقاييس، أكّدت بدورها وعلى المستوى العمليّ صحّة المباني والمنطلقات والنتائج لرؤية الإمام الخامنئيّ لأخلاقيّات العلم، والتي سنطرحها كنموذج متألّق نفتخر به أمام سائر الأمم ونقدّمه جزءًا من رسالة الإسلام لإنسان القرن الحادي والعشرين الغارق عنوة في سكرة الحداثة والنموذج الغربيّ للحياة الاجتماعيّة والذي يحاول التفلّت من القبضة الضاغطة لهذا النموذج الغربيّ من خلال الحروب الناعمة وعناوين الليبراليّة، على أن تكون البديل الروحيّ والأخلاقيّ والعمليّ في آن، القادر على صناعة السعادة والسلام الآمن في العالم والقادر على تحقيق التوازن الفعلي بين الروح والمادة لإنسان اليوم والمستقبل.

فرادة شخصيّة الإمام العلميّة

لم يحصر الإمام الخامنئيّ عمله كرجل دين تخصّص في علوم الشريعة، ولم يحدّد ميادين عمله في الإطار المتخصّص واكتفى بالوعظ والإرشاد على ما في هذه المهمّة من قدسيّة وثواب، لكنّه عُرف بحبّ المطالعة ومتابعة حركة الكتب والترجمات من وإلى الفارسيّة وبمواكبة حركة الثقافة العالميّة من أعمال أدبيّة تاريخيّة وصولاً إلى التيّارات الفكريّة والاجتماعيّة الحديثة، وتابع كلّ ذلك بعين النقد الدقيق، فحدّد إيجابيّاتها وفصّل آثارها الجانبيّة السيّئة الممكنة بروح علميّة موضوعيّة لم تخرج قطّ عن منهجيّتها، ولم يؤطّر فهمه في اتّجاهات فرضها على الموضوع بل تميّز أسلوبه بالمرونة والصراحة في الثناء على الجيّد وكشف الخلل في الضارّ منها، وهذا الجانب برمّته إنّما يضاف إلى جوانب أخرى من مسؤوليّاته الجسيمة في قيادة أمّة وعلى مختلف الصعد وما يلحقها من تهيّب لدقّة القرار ولتحديد وجهة السير للأمّة جمعاء. وقد كانت مواكبته اللصيقة للحداثة ولتيّارات الفلسفة المعاصرة ولحركة العلم الحديث عنصرًا أساسيًّا جعله قائدًا فذًّا حكيمًا ورعًا وفطنًا، تميّز بصوابيّة استشرافه للمستقبل وتحسّسه للأخطار الداهمة على الأمّة وعلى الفرد، فجعل هذه الطاقات والخبرات الاستثنائيّة في سبيل عقيدته الإسلاميّة وفي سبيل قوّة ومنعة الأمّة وتصويب مسارها والسهر على خياراتها الاستراتيجيّة.

لقد أطلّ الإمام بالإسلام كعقيدة وفكر إلى الموقع المتقدّم للحوار والحداثة في العالم، وأضاء بقوّة على تميّز الإسلام عن سائر العقائد بسموّه الإنسانيّ وبإشعاعه الروحيّ وكسره لقيود المادّة والجشع واعتبر الإنسان روحًا لها صفة القداسة والأولويّة وأكّد على العناوين القرآنيّة في جعل الإنسان كيانًا حرًّا كريمًا راقي الروح ومحترم الجسد.

لقد كان الإمام بكلّ ذلك شخصيّة استثنائيّة، نجح في صياغة مشروع التآلف المحكم بين المصالح الاستراتيجيّة للأمّة وضرورات النهوض والاقتدار لها مع الضوابط الأخلاقيّة الفرديّة والاجتماعيّة، والاحتفاظ

بأولويّتها على المصالح والمباني الاستراتيجيّة للأمّة بحيث تتقدّم عليها، وفق تعاليم القرآن والسنّة النبويّة الشريفة، وبذلك يكون الإمام قد قدّم للعالم نموذجًا جديدًا للحكم يختلف عن النماذج السائدة التي انبثقت من الحربين العالميّتين الكونيّتين والتي تنافست فيها الأمم على إنتاج أسلحة نوويّة قادرة على إبادة الجنس البشريّ ومعه كلّ أشكال الحياة على كوكبنا.

وقد ترجم الإمام نظرته الانفتاحيّة المرنة للعلم وموقعه في بناء الأمّة من خلال فتاوى تقدّمت عن غيرها في كثير من الموارد نعرض منها للذكر فقط عمليّات وهب الأعضاء وحالات الاستنساخ وحالات الاستنسال، وواكبت فتاواه الجديد في البحث العلميّ وذلّلت عقباته وساهمت في اندفاعته، فكان مُجدِّدًا في مجال الفقه وخصوصًا منه المتعلّق بالعلم والضابط للقيم والمعايير الإسلاميّة السمحة.

وقد كان حديث الإمام عن توجيه مسار العلم والبحث العلميّ وضرورة ضبط أخلاقيّاته والالتزام بها جزءًا من رؤيته الشاملة للكون والحياة ولأهداف وجود البشريّة على الأرض، وكأنّما تأتي أخلاقيّات العلم في إطار متلازم المسار وبإيقاع واحد مع هذه المفاهيم الشاملة والتي سنرى منها كرامة الإنسان وامتزاج الدين بالحياة، وبأنّ الإسلام ينظر للعلم كقيمة ذاتيّة قائمة بحدّ ذاتها وبأنّ أهداف العلم إنّما هي لصالح البشريّة، والعلم بهذا العنوان أمر محمود وعندما يخرج عن هذا التأسيس يصبح مرفوضًا ومذمومًا لا بل حرامًا لا شكّ يعاقب صاحبه في الدنيا والآخرة.

وحيث تؤكّد آيات عدّة من **القرآن الكريم** على أولويّة العلم والحضّ عليه، وأنّ العلم مقدّس ومطلوب البحث عنه والتلازم متين بين العلم وأحكام الشرع، فكلّ الإنتاج الفكريّ الإبداعيّ المفيد للبشريّة مطلوب السعي نحوه طبقًا للقواعد الشرعيّة التي تقول بأنّ كلّ ما حكم به العقل السليم حكم به الشرع، وكلّما تطوّر العلم واكبته الشريعة وكان تلازم الشرع والعلم من عناصر القوّة لمشروع استغناء إيران عن الغرب في العديد

من النواحي التقنيّة والمعرفيّة.

وانطلاقًا من هذه الأولويّة للعلم ووجوبه على كلّ مسلم ومسلمة، فقد انفرد الإمام بتذليل العقبات أمام البحث العلميّ في إيران وقدّم العديد من الفتاوى الحديثة والجريئة والتي رسّخت الموقف الإسلاميّ الإيجابيّ والمتين للقضايا المستحدثة في العلم وخصوصًا الطبّ منه، وكانت رؤيته تتحرّك من أساس أنّ كلّ فكرة علميّة تندرج تحت واحدة من ثلاثة:

١- أن تكون محرمة كفكرة القتل الرحيم.

٢- أن تكون مستحسنة في الدين والعقل ككلّ منجز علميّ ذي بعد إنسانيّ يخفّف من معاناة البشريّة، كاختراع أدوية شافية للأمراض المتنوّعة.

٣- أن تكون في طور التكوّن حيث لم تظهر نتائجها الإيجابيّة أو السلبيّة بشكل وافٍ كالاستنساخ مثلًا أم عمليّات التلقيح من خارج الرحم أو وهب الأعضاء ومع ذلك فإنّ الرأي الشرعيّ للإمام أقرب إلى الإيجابيّة لما فيها من إيجابيّة على المرضى ولعدم احتوائها على ما يسبّب هتك النفس المحترمة.

وكانت فرادة الإمام في هذه الفتاوى لتؤكّد انفتاح الدين على التطوّر العلميّ ورفده بالتغطية الشرعيّة ودعمه معنويًا وماديًا طالما يصبّ في دائرة القيم والتقيّد بالهالة المطلوبة على إنسانيّة الإنسان والالتزام بها كأولويّة.

ومن مظاهر تميّزه في فهم العلم قدّر الإمام الخامنئيّ دورًا مفصليًا للمرأة في عمليّة التطوّر العلميّ وعمليّة تقدّم أبحاثه في كافّة الميادين ودعاها لتحمّل مسؤوليّاتها وكسب العلم والانطلاق في تحقيق الإنجازات العلميّة العريقة، معتبرًا إنّ المرأة قادرة تمامًا على تحمّل المسؤوليّة ولديها القابليّة الكاملة على التقدّم والارتقاء والمساهمة في ترشيد مجتمعها ولكن يشدّد الإمام على أن تكون المرأة في بيئة تعليميّة وبحثيّة سليمة أخلاقيًا، معتبرًا أنّ طلب العلم مرتبط بالموازين الأخلاقيّة والشرعيّة السليمة، والمسؤوليّة

الإسلاميّة الملقاة على عاتق المرأة إنّما هي على أساس ترتيب الأولويّات، وعلى أساس دراسة قدرتها وقابليّتها وهما قدرة وقابليّة حقيقيّتان لا يُستهان بهما.

وللمفارقة، فإنّ موضوع المرأة هو من أهمّ أسلحة الظلم التي يواجه بها الغرب تجربة الدولة في إيران، فيما تؤكّد الوقائع أنّ دور المرأة طليعيّ وزاهر في مشروع النهوض للأمّة، فالمرأة حاضرة في السياسة، في الفكر، في الإعلام وفي كافّة الميادين النظريّة والعمليّة، ودورها متميّز عن أدوار المرأة في غالبيّة البلاد الإسلاميّة، لها عالمها، مشاريعها، استقلاليّتها الاقتصاديّة والعلميّة وهي رائدة في الجامعة، في مراكز الأبحاث، وحاضرة في عوالم النخب والمتفوّقين، وإيران الدولة تعطيها كلّ الفرص وتتيح لها كلّ التقديمات لتنطلق وتقارع الرجل في الأبحاث، في الانتاج وفي السياسة، وتشارك الرجل لا بل تتفوّق عليه في العديد من مجالات الدراسة والبحث، وكلّ ذلك في إطار البيئة الأخلاقيّة السليمة لها كإنسان في الحياة العامّة وكأنثى أمام زوجها فقط...

العلم في منظور الإمام الخامنئيّ

من نافلة القول بداية إنّ عناية الإسلام بالعلم ذات ميزة خاصّة بحيث أحاط الإسلام العلم بإطار من الأخلاق الحميدة والهادفة على مستوى الفرد والجماعة، وبأسس من تقوى الله تعالى الذي علّم الإنسان ما لم يعلم لتعصم هذه الأسس البحث العلميّ من أن يكون سبيلًا إلى الفساد في الأرض أو تدميرًا للحياة وشروطها على الأرض وفي الكون الرحيب وليكون مبرّر العلم والبحث العلميّ مصلحة الإنسانيّة وسعادتها وتقدّمها في إطارَيه المادّيّ والمعنويّ.

لقد كان الاهتمام بالعلم والوصول من خلاله إلى مراحل النهوض والاقتدار جزءًا من استراتيجيّة الإمام الخامنئيّ لمستقبل الأمّة، وثمّة

خصوصيّة كان يعمل لها الإمام ويظهرها في كلماته وتوجيهاته لمسؤولي الجمهوريّة الإسلاميّة للعمل بالعلم وترجم ذلك في إطلاق الجامعات الجديدة والموازنات الخاصّة لمركز الأبحاث وفي تبيان الدور المناط بالعلم في انطلاق المسيرة على مختلف الأطر إسلاميًّا وفي مشروع الوصول نحو الاقتدار. لقد كان البعد الإسلاميّ في كلام الإمام شفافًا ينفذ للقلب والوجدان، ضمن سلسلة من القناعات الفلسفيّة والروحيّة بحيث ينطلق الإنسان الحرّ الواعد بعمله والعارف بما يفعل وإلى أين يصل: لمصلحة الناس ولمنعة الأمّة ودفاعًا عن الإنسان ولنصرة المستضعفين في كلّ صقاع الأرض، وإنقاذا للبشريّة وصولًا للغاية الأسمى والأنبل ألا وهي رضا الله سبحانه وتعالى، فكلام العلم عند الإمام كان جزءًا من المشروع العقائديّ الروحيّ ومنطلقًا منه وعاملًا لأجله، وتحصيل العلم وجهاد العلم في اعتقاد الإمام واجب سيسأل عنه القادر عليه وسيثاب بعظيم الثواب من عند الله تعالى من حمله وخدم به، ففي كلام الإسلام عن العلم قال الإمام:

لقد أضفى الإسلام قدسيّة على العلم، فالعلم شيء مقدّس والتحصيل العلميّ يتميّز بقدسيّة خاصّة. إنّ العلم يختلف عن باقي الأمور، فهو ليس مجرّد وسيلة لتحقيق الثراء كغيره من الوسائل، مع أنّه يحقّق الثراء، ولكن ينبغي الحفاظ على قدسيّته: إنّ العلم نور، وهذا ما يجب أخذه بعين الاعتبار، وهو أحد شؤون الجامعة الإسلاميّة. إنّ أحد مصاديق العمل الصالح هو نفس النشاط العلميّ الذي تقومون به في الصفّ، أو العمل الذي تقومون به في المصنع أو في المزرعة. إنّ نشر العلم وتوفير فرص العمل عبادة كما أنّ الصلاة وقراءة القرآن عبادة وهذا ليس بالأمر الهين(١٦).

ويربط الإمام العلم والتعليم والعمل بالسمو الإنساني ودرب الكمال المتوجّه إلى رضا الله تعالى فالعلم زينة للإنسانيّة وأمان لها من الجهل

---

(١٦) خطبة بتاريخ ٢٠٠٦/١/١٩، مع أساتذة وطلبة جامعة الإمام الصادق (ع)، بعنوان «الجامعة ودورها في صناعة الثورات العلميّة والفكريّة».

والانحراف والتخلّف، وهو طريق لكسب الثواب الإلهيّ في الدرجة الأولى ثمّ بعدها هو بناء ورقيّ وتقدّم واستقلال واقتدار وعزّة في آنٍ، فيقول مخاطبًا أهل العلم:

إنّ الهدف من وراء جعل الثواب على التعليم والعمل هو أنّ الله تعالى جعل كمال البشريّة في العلم والعمل، والمجتمع العاطل عن العمل أو الذي يتكاسل في العلم وكذلك المجتمع الجاهل لا يستطيعان ارتقاء مدارج الكمال البشريّ، وكلّما كان العمل أكثر نفعًا كان الثواب أكثر؛ والثواب هنا، ليس فقط لتعليم القرآن وعلوم الدين، وإنّما لتعليم الجبر، والمثلثات والفيزياء والهندسة، فما دمتم تصنعون من أولاد الناس علماء يفيدون المجتمع بعلمهم، فإنّ تدريسكم هذا فيه ثواب وأجر، هذا هو منطق الإسلام. إذن، المكسب الأوّل هو تحصيل الثواب الإلهيّ، والمكسب الآخر الذي لا يقلّ أهميّة هو المساهمة في بناء صرح مستقبل مجتمعكم(١٧).

ولذا، فقد كرّم الإمام العلم والعلماء باعتبارهم حملة ومنتجين للعلم والمعرفة ولما لذلك من أثر إيجابيّ على مستوى المجتمع والأمّة، لكي تقتدي الناس بهم ولكي تتشجّع على طلب العلم، ولقد أحبّ الإمام التواجد بينهم وتحدّث بسعادة عن وجوده بينهم لما هم عليه ولما هي موضوعاتهم الراقية والدقيقة ولما هي ذهنيّاتهم الوقّادة والتي دون شكّ تحمل هم النهوض بالأمّة وتبادر إلى حلّ أزماتها كشريك فعّال في المسؤوليّة الوطنيّة العليا، فقال في كلام موجّه إلى أساتذة الجامعات:

التواجد بين أهل العلم مفتتم ومحبّذ لديّ لهذا السبب أوّلًا، وثانيًا أنا سعيد لأنّي مستمع بينكم فالدارج في مثل هذه الاجتماعات أن تطرح القضايا الرئيسيّة حول العلوم والجامعات والمسار في البلاد على ألسن أساتذة الجامعات ونخبها، وهذا بدوره شيء مغتنم بالنسبة لي لأنّه يمنح المسؤولين ذهنيّة سليمة فيما يخصّ قضايا العلم والبحث العلميّ والجامعات... ثمّ إنّ بعض هذه الشؤون التي تطرح ستعالج بشكل طبيعيّ، مثلما تمّت متابعة الأفكار المطروحة في الأعوام الماضية

---

(١٧) لقاء الإمام مع وزير العلوم وأساتذة جامعة طهران في ٢٠١٠/٣/٢١ بعنوان «العلم سلطان».

ووصلت لنتائج جيّدة[١٨].

كما حثّ الإمام المجتمع على تكريم أهل العلم وعبر عن احترامه الخاصّ لهم تشجيعًا لهم على ما يقدّمون وتشجيعًا لطلابهم السائرين على نهجهم، وتواضع الإمام لهم وتحدّث عن احترامه لهم، فهو يتقصّد في تكريمهم ليرسل رسالة لشباب الأمّة أنّ التكريم إنّما هؤلاء يستحقّونه، وعلى من يريد أن يكون مكرمًا عليه السير في دربهم لأنّ الأمّة تحتاج لأناس مثلهم، مقدرًا ومثمّنًا للدور المفصليّ لهم في عمليّة النهوض، فقال في جلسة له مع لفيف من النخبة العلميّة في البلاد:

الاحترام الذي أحمله في قلبي للأساتذة وللعلماء أردت أن ينعكس على مستوى المجتمع. نحن بحاجة لأن يشعر علماؤنا وأساتذتنا بالكرامة والاحترام في المجتمع. إن أفضل مشجع على نشر العلم هو تكريم العلم. أساتذة جامعاتنا، والشخصيات البارزة والنخبة في مراكز البحث العلميّ هم ممّن يعدّون شخصيّات علميّة ونخبويّة مميّزة. وبالتالي، فهذه الجلسة هي بالدرجة الأولى لهذا الهدف الذي يتحقّق والحمد لله بهذه اللقاءات. اعلموا أيّها الأصدقاء الأعزّاء والإخوة والأخوات أنّني أشعر بالاحترام والتكريم والتواضع في قلبي للعالم والعلم، وأطمح أن نحمل جميعنا وفي كلّ أنحاء البلاد- المسؤولون وكلّ واحد من أبناء الشعب ومختلف المستويات الإداريّة في المجتمع- هذا الشعور ونعبّر عنه عمليًا وهو ما يحصل طبعًا. ولكن ثمّة إلى جانب هذا قصد آخر من هذه الجلسة هو أن تطرح آراء وأفكار نخبتنا وشخصيّاتنا في شتّى القضايا العلميّة والتعليميّة والتربويّة وتذاع في المناخ العامّ للبلاد[١٩].

وفي إطار آخر، يدعو الإمام لإطلاق الطاقات والإبداعات الكامنة في أفراد الأمّة وأن تعيش المؤسّسات حالة التنافس بين مواقع التعليم العالي والتنافس بين الأساتذة الجامعيّين وأن تعطى الرابحة منها الجوائز

---

(١٨) كلمة الإمام الخامنئي في اللقاء مع أساتذة جامعة البلاد بتاريخ ٢٠٠٢/١١/١٣.

(١٩) كلمة الإمام الخامنئي في لفيف من النخبة العلميّة بتاريخ ٢٠٠٨/٩/٢٤.

والامتيازات، في عناوينها الإيجابيّة نحو الأرقى والأفضل، وذلك لتحفيز أهل العلم وبيئته نحو الاهتمام بالجودة ونحو نزول الجامعات الإيرانيّة حلبات التنافس العلميّ الدوليّ، ثمّة أيضًا إصرار على إطلاق التنافس البنّاء في الإبداعات، ويقول الإمام في هذا الإطار:

ينبغي أن يكون هناك تنافس قويّ وبناء جدّيّ في البلاد في مجال الإبداعات العلميّة والإبداعات التقنيّة تبعًا لها. يجب أن يكون هناك تنافس بين جامعات البلاد وبين الأساتذة وبين النخبة ولتخطيط أجهزة ومؤسّسات التعليم العالي لإيجاد هذا التنافس أيضًا بين الجامعات الراقية. ثمّة على سبيل المثال جامعات راقية في مجال العلوم التقنيّة والهندسة، وهناك جامعات ذائعة الصيت في العلوم الإنسانيّة، وكذا الحال في باقي الحقول والميادين العلميّة ليوجدوا التنافس والسباق بين مختلف الجامعات، ولتمنح الجامعات الامتيازات والرتب.

لكنّنا نؤكّد على أنّ هذا النموّ الكمّيّ يجب أن يكون مصحوبًا باهتمام بالجودة والنوعيّة. أوّلًا يجب تشخيص الرتبة الكيفيّة والنوعيّة للجامعات في البلاد أي على أجهزة إدارة الجامعات في البلاد، تشخيص أي الجامعات دون الخطّ المعتبر للجودة ، ثمّ التخطيط لرفع المستوى النوعيّ لهذه الجامعات. هذه من الأعمال اللازمة جدًّا والتي لا بدّ أن تنجز بمعنى أنّه يجب الاهتمام بالكيفيّة كموضوع مستقلّ[٢٠].

ومقولة العلم والإبداع من وجهة نظر الإمام سبيل إلى إحياء الحضارة والحضور الفاعل والمتقدّم بين الأمم ولإقامة العدالة والمعنويّات في العالم، والعلم بحسب رؤية الإمام قائمة على ثلاثة أركان: **العدالة، والمعنويّات والعقلانيّة**، والمطلوب من حملة العلم أن يتحرّكوا ضمن هذه الأركان وتحت ظلالها: العدالة شعار وعنوان حاكم والعقلانيّة صفة ملازمة للعلم وقداسته والخروج عنها يؤدّي إلى ضلال أهل العلم والتسبّب بمعاناة الإنسانيّة حيث آثار انحراف العلم هي قاسية وجدّيّة ولا تحتمل البشريّة

---

(٢٠) كلمة الإمام الخامنئي في لفيف من النخبة العلميّة بتاريخ ٢٠٠٨/٩/٢٤.

نتائجها.

ويتوقّف المتابع أمام التكامليّة في هذه الرؤية للعلم في إطاريها العقائديّ الإسلاميّ وفي انعكاساتها على الأمّة، وأيضًا على مستوى الذات الإنسانيّة، ذلك أنّ تحصيل العلم يصنع إنسانًا مقتدرًا متماسكًا واثقًا بنفسه، ويصنع أمّة تثق بالله وتتوجّه نحو اغتنام نقاط القوّة لتصنع لها الاكتفاء والغنى والكرامة والقدرة على النهوض والاستمرار، وقد قدّم الإمام مقارنة بين مقدرات الأمّة اليوم وأوضاعها المزرية فيما لو تخلّت عن ثقتها بنفسها، فقال في كلام له مع أساتذة الجامعات:

والعلم يمثّل أحد أبرز الركائز الأساسيّة للثبات والاستقامة. فالعلم هو الذي منحنا الثقة بأنفسنا. فلو كانت الشركات الأجنبيّة اليوم هي من يتولّى عمليّات استخراج وتصفية النفط، ومدّ أنابيب الغاز، ولو كان نظامنا الصحّيّ معتمدًا على الكوادر الصحّيّة الأجنبيّة وتحديدًا الغربيّة، ولو كان غذاؤنا مرهونًا بهم، أو كانت زراعتنا وصناعتنا بيد الإسرائيليّين، ولو كانت صناعتنا النوويّة- في حال تقرّر أن لا نموت في حسرتها وأن يكون لنا شيء منها- بيد الفرنسيّين والألمان والآخرين، لمّا كانت هذه الثقة بالنفس التي نمتلكها اليوم، ولما كانت هذه القدرة على الثبات، ولمّا كان هذا العزّ والشرف. فلو كنّا نلجأ إلى الكفاءات الشرقيّة أو الغربيّة في تشييد سدّ ما، أو بناء مفاعل ما، أو إنشاء طريق سريع أو شقّ نفق، أو إنشاء صومعة للقمح، ما كان لشعبنا أن يشعر بالعزّة، كما لم يكن باستطاعة مسؤولينا أن يقفوا مرفوعي الرأس مقابل الاستكبار العالميّ، ولم تكن هذه الثقة بالنفس، ولم تكن قوّة الإرادة هذه، ولم تكن مثل هذه العزيمة. من الذي عبد لنا الطرق وشقّ لنا الأنفاق وبنى لنا محطّات الطاقة والسدود والجسور والطرق السريعة والمخازن الاستراتيجيّة والطاقة النوويّة؟ ألم تكن الجامعات هي التي ساعدت الشعب الإيرانيّ ليحفظ عزّته وماء وجهه ليقف بتحدّ وإباء إزاء أطماع الأعداء. فمسؤولو البلد مدينون للجامعة من هذه الناحية أيضًا[٢١].

---

(٢١) كلمة الإمام مع أساتذة الجامعات في شهر رمضان ٢٠١١/٨/٢٤.

نستنتج ممّا تقدّم أنّ ثمّة قداسة للعلم والتحصيل العلميّ، وهناك ضرورة للحفاظ على قدسيّته والإنفاق على العلم استثمار للأمّة، والله تعالى جعل كمال البشريّة في العلم والعمل، كما أنّ تحصيل علوم القرآن والفقه هي عبادة، فإنّ تحصيل سائر العلوم بنيّة منفعة الأمّة والدفاع عنها هو أيضًا عبادة، أنّ المراد من العلم كما رآه الإمام الخامنئيّ هو سعادة البشريّة ورفعة إنسانيّة الإنسان، ووقف الظلم وتحقيق العدالة في الأرض فلا فصل بين العلم والدين فثمّة أرض مشتركة بينهما، والعلم سلاح للمستضعفين عليهم الأخذ به والجهاد فيه، وإلّا فهلاك الأمّة ينتظرها في صراع قاسٍ مع الغرب الذي لا يرحم والذي يفتقد الإنسانيّة لديه، حيث القتلُ والإبادة مبرّران وممكنان لديه فيما لو اقتضت ضرورات مصلحة الدولة أو ما يسمّى الهيمنة والمصالح الدوليّة.

البعد الأخلاقيّ في مفهوم الإمام للتقدّم

ثمّة كلامًا متنوّعًا ذكره الإمام في مناسبات مختلفة حول التقدّم العلميّ في الجمهوريّة: ماهيّته، دوره، عناصره. وقد بدت لنا الصورة الجليّة لما يريد من التقدّم، وعن أيّ تقدّم علميّ يتحدّث عندما بدأ يؤسّس للنموذج الإسلاميّ الإيرانيّ للتقدّم بشكل انفرد به عن غيره من سائر قادة العالم. ولقد قدّم الإمام مفهومه في ظلّ المناخات السياسيّة الملبّدة في البلدان الإسلاميّة رغم أنّ كلّ الأجواء تبتعد عن تفاؤلها في مستقبل زاهر، وحيث الفتن تصيب الأمّة، واحدة بعد الأخرى، والمصيبة الأصعب هنا أنّها باسم الدين وباسم الله على نحو يكاد يطيح بالثوابت ويضع المرء في مهبّ أعاصير الفتن والنظرة القاتمة إلى المستقبل، إلّا أنّ الإمام يتطلّع بثبات وعزم وإصرار إلى الوجهة الصحيحة ولا يضيع البوصلة، مسبوقًا بنظرة أمل إلى مستقبل لائق بهذه الأمّة وبثقة بالله وبقدرة الأمّة على النهوض وهي تحمل كلّ المقوّمات لكنّها تفتقر إلى التوحّد والرؤية الثاقبة والقيادة المخلصة،

فيقول في إحدى خطبه أمام جمهور من أهل العلم والبحث العلميّ:

إنّ ركب التقدّم انطلق مع انطلاقة الثورة وإنّ الاعتقاد بأنّ التطوّر العلميّ عندنا يجب أن يكون مناطًا بالنماذج الغربيّة هو خطر داهم على بلدنا ككلّ، فالتقدّم هو تقدّم الغرب بينما الآخرون لا يزالون في تخلّف، هذا هو النموذج الغربيّ للتقدّم. إنّ علينا البحث عن نموذج إسلاميّ- إيرانيّ للتقدّم وهذه مسألة حيويّة لنا، وهذا النموذج لا بدّ وأن يكون قائمًا على المثل النظريّة والفلسفة الإسلاميّة ومبادئ الإسلام في معرفة الإنسان وشعبنا هو قادر على تقديم نموذج إسلاميّ. ثمّة بونًا شاسعًا بين المجتمع الغربيّ والفلسفة الغربيّة للإنسان، وبين نظرة الإسلام للإنسان، وهذا التفاوت عميق، وثمّة معنى آخر للتطوّر في المنطق والفلسفة الغربيّة للتطوّر؟ التقدّم عند الغرب هو التقدّم المادّيّ والملاك هو الربح المادّيّ فكلّما كان الربح المادّيّ أكبر كان التقدّم أكبر، فالمعيار هو تضاعف السلطة والثروة المادّيّة، وهذا يعني التضحية بالأخلاق والقيم المعنويّة، أمّا التقدّم من وجهة نظر الإسلام فهو تقدّم مادّيّ لا غبار عليه، لكن بشرط أن يكون وسيلة لا غاية، فالغاية هي رفعة وسموّ الإنسان وتقوية الهويّة الإنسانيّة للإنسان، والتقدّم الذي ننشده ونريده إنّما هو لصالح كلّ البشريّة والإنسانيّة لا الإنسان الإيرانيّ فقط[٢٢].

فالتقدّم بنموذجه الإسلاميّ الإيرانيّ إذن يتعارض وبالعمق مع مفهوم التقدّم المادّيّ للغرب، حيث المعيار هو المنفعة المادّيّة بحيث يصحّ التقدّم كلّما كبرت المنفعة المادّيّة فيما المفهوم الذي يريد الإمام تقديمه إنّما ينبع من الأصول والقواعد الإسلاميّة المرتكزة على رفعة الإنسان وعلوّ إنسانيّته ويصرّ الإمام على هذا المفهوم وعلى ضرورة السهر عليه وتطبيقه على الرغم من معرفته أن لا آذان صاغية بين أمم العالم لهذا المنطق، وأنّ الغرب لم ينجح في تدعيم الصورة الإنسانيّة القيميّة الرائعة للإنسان، ولا نغفل هنا، أنّ التقدّم الغربيّ أنتج قوّة نوويّة كافية لتدمير الكرة الأرضيّة

(٢٢) خطبة للإمام بعنوان «العمل على رفع المستوى العلميّ لجامعات»، بحضور أساتذة جامعة فردوسي في ٢٠٠٧/٥/١٥.

أربع مرات!!

وفي إطلاق عبارة «**المفهوم الإسلاميّ الإيرانيّ للتقدّم**» يقول الإمام:

إنّنا قد اخترنا كلمة تقدّم بدقّة، ولقد تعمّدنا تجنّب استعمال كلمات تنمية، لأنّ الكلمة تحمل في طيّاتها وجهة قيميّة مفهوميّة، وتتضمّن التزامات لا تنسجم معها أحيانًا ولا نوافق عليها، نحن لا نريد أن نزجّ بمصطلح عالمي معروف مركّز ذي معنى خاصّ داخل فريق عملنا، نحن نطرح المفهوم الذي نريد هذا المفهوم هو عبارة عن "التقدّم" الذي يتحدّد في مجال محدّد واتّجاه محدّد وهذا تمامًا كمثال الثورة التي لم تستخدم كلمة "الإمبرياليّة"، بل استخدمت كلمة الاستكبار.

وبما أنّ الظروف التاريخيّة والجغرافيّة والثقافيّة والمناخيّة والجغرافيّة السياسيّة كلّها تؤثّر في هذا النموذج، وهذا صحيح بالطبع، فإنّ المفكّرين الإيرانيّين هم مصمّمو هذا النموذج، وهذا سبب وجيه لتسميته بالإيرانيّ، أي إنّنا لا نريد أن نستورده من الآخرين، بل نريد أن نحدّد ما نراه مناسبًا ومفيدًا لبلدنا، وما يمكننا من صناعة مستقبلنا. بناءً عليه، فإنّ هذا نموذج إيرانيّ، ومن جهة أخرى هو إسلاميّ، لأنّ أهداف هذا العمل وغايته وقيمه ونماذجه تأخذ مادّتها الأساسيّة من الإسلام، وكونه إيرانيًّا إسلاميًّا لا يعني مطلقًا أنّنا لن نستفيد من إنجازات الآخرين، فنحن لا نضع لأنفسنا أيّ حدّ على طريق تحصيل العلم[٢٣].

ثمّ يتابع الإمام تحديده لآليّات التقدّم مميّزًا بين اكتساب العلم وإنتاج العلم، فهو لا يمانع من اكتساب العلم من كلّ جهات الأرض، لكنّه يولي العناية الخاصّة لإنتاج العلم كشرط لبلوغ التقدّم، البريء من التبعيّة والخنوع، لأنّ الغرب لا يريد لنا التقدّم ويمنع وسائله الفعليّة عنا، ويرهن حصولنا على الوسائل بانقيادنا الأعمى لإرادته، وهو يربط ربطًا وثيقًا بين تحقيق التقدّم وعمليّة الإبداع الذاتيّ للأمّة، مستندة إلى ثقة بالله وبتاريخ حضاريّ مشرق ورسالة إسلاميّة إنسانيّة سامية هي خلاص حقيقيّ للبشريّة، فيقدّم في خطبة له، ملاحظات أربع رآها ضروريّة لتحقيق حلم

---

(٢٣) خطاب الملتقى الأوّل للأفكار الاستراتيجيّة بحضور جمع من النخب والمفكّرين بتاريخ ١/١٢/٢٠١٠.

التقدّم إلى واقع، وهي:

١- إنّ التقدّم العلميّ ضرورة حيويّة للبلاد على اختلاف الحقول العلميّة.

٢- يحصل التقدّم العلميّ باكتساب العلم من البلدان والمراكز العلميّة الأكثر تقدّمًا، لكنّ اكتساب العلم شيء وإنتاج العلم شيء آخر.

٣- في قضيّة العلم، يجب أن لا نربط عربتنا بقاطرة الغرب. طبعًا لو كانت هذه التبعيّة لحصل تقدّم معيّن هذا ممّا لا شكّ فيه، بيد أنّ التبعيّة، وعدم الإبداع، والخضوع المعنويّ من التداعيات الحتميّة لمثل هذه الحالة، وهذا غير جائز. إذن، علينا أن ننتج العلم بأنفسنا ونفجّره من أعماقنا. كلّ درجة يرتفع بها الإنسان في سلالم العلم تعدّه للخطوة اللاحقة والارتفاع إلى درجة أعلى. علينا مواصلة هذا التحرّك من أنفسنا وفي دواخلنا وباستخدام مصادرنا الفكريّة وكنوز تراثنا الثقافيّ.ينبغي أن يرفق هذا التقدّم العلميّ الثقة بالذات أوّلًا، والأمل بالنجاح ثانيًا، والحركة الجهاديّة ثالثًا، وهذا ما ينبغي أن يشكّل المنحى العامّ لحركتنا العلميّة. لا يجوز في هذه الحركة الركون إلى الكسل والتقاعس والنزعة الاتكاليّة.

٤- ينبغي العمل بطريقة جهاديّة. ليس الجهاد في سوح الحرب فقط، إنّما لا بدّ من الجهاد في ميدان العلم أيضًا كسائر ميادين الحياة. الجهاد معناه العمل بلا توقّف وتقبّل الأخطار –بالحدود المعقولة طبعًا– والتقدّم والأمل بالمستقبل[٢٤].

ثمّ يربط في موضع آخر، عناصر التقدّم مع الإنتاج الوطنيّ، باعتبار أنّ فلسفة التقدّم قائمة على الانتفاع به، وذلك عن طريق ربطه بعجلة الإنتاج الوطنيّ والقوميّ، فلا معنى للتقدّم إذا لم يحلّ مشاكل الأمّة وأزماتها، ويحلّ كلّ الاحتقانات الاقتصاديّة والإنتاجيّة الموجودة منها في داخل المجتمع نتيجة ضعف الأداء، أم في أشكالها الخارجيّة كالحصار الظالم، ومنع الأمّة من الوصول إلى التقنيّة الأزمة لتنطلق كغيرها من الأمم، باعتبار أنّ ثمّة ماءً للوجه والكرامة على الأمّة أن تدفعه للوصول إلى التقنيّة، وهذا الثمن

---

(٢٤) خطبة للإمام بعنوان «التقدّم العلميّ والنموّ في ميدان العلم»، بحضور نخب علميّة وأساتذة جامعات، تاريخ ٢٤/٩/٢٠٠٨.

هو درب المصاعب الذي تسير عليه غالبيّة، إن لم نقل كافّة، شعوب العالم الثالث... إذن، للحصول على الثقافة من الغرب ثمن فادح وهو الاستقلال، وكثير من دول العالم الثالث فرّطت بهذا الاستقلال مقابل الحصول على هذا السلاح، ولكنّ هذا السلاح غالبًا ما كان يوظّف لاستقرار قادة الأنظمة ولإرهاب شعوبها وتنفيذ رغبات الغرب ومآربه الاستراتيجيّة، فيما القادة يعيشون هاجس البقاء على كراسيّهم وهكذا تتقدّم الأمّة بالعلم، فالإبداع العلميّ الذي يجب أن نربطه بالإنتاج القوميّ المؤدّي إلى الكرامة والنهضة في آن، فيقول الإمام في تعبيره عن التقدّم وربطه بعجلة الإنتاج:

إنّ التقدّم الماديّ للبلد يعتمد بالدرجة الأولى على عنصرين: الأوّل عنصر العلم، والثاني عنصر الإنتاج، فما لم يوجد العلم سيخفق الإنتاج، فالبلد يتقدّم بالعلم، وإذا وجد العلم، ولكن لم يبنَ الإنتاج على أساسه في تطوّره وتكامله ونموّه، فإنّ البلد سيصاب بالجمود أيضًا. لقد كان العيب في مجال العمل في عصر حكومة الطواغيت هو أنّه لم نكن نمتلك العلم، ولأنّنا لم نكن نمتلكه فلم يكن لدينا إنتاج يعتمد على أسس العلم، إنتاج متطوّر ومتكامل. لهذا، فإنّ العالم عندما نزل إلى ميدان الصناعة تطوّر. فقارّة آسيا التي جاءت إلى هذا الميدان متأخّرة عن أوروبا تطوّرت، أمّا نحن وبسبب حكومة هؤلاء الطواغيت وغيرها من الأسباب بقينا متأخّرين. إذا أردنا أن نجبر ما فات- ونحن نريد، وشعبنا قد تحرّك في هذا الاتّجاه وحقّق الكثير- فعلينا أن نولي اهتمامًا للعلم وللإنتاج، فيجب المتابعة في مراكز العلم، في مراكز الأبحاث بالمناهج الحديثة. ولعدّة سنوات وأنا أؤكّد على قضيّة العلم، والحمد لله فإنّ عجلات التقدّم العلميّ والإنتاج العلميّ قد انطلقت في البلد لا شكّ بأنّ هذا ينبغي أن يتسارع، فنحن لا زلنا في أوّل الطريق.

والثاني هو الإنتاج، الإنتاج سواء في مجال الصناعة أو الزراعة يتمتّع بالأولويّة، فالبلد غير المنتج سيبتلى بالتبعيّة شاء أم أبى، ولو كان هذا النفط والغاز في العالم موجودًا تحت أرضنا وفي آبارنا فإنّه لن ينفعنا، مثلما إنّكم ترون بعض الدول التي تحتوي على ثروات هائلة من المعادن وغيرها- سواء كانت ثروات الطاقة، أو المعادن

النفيسة والنادرة- ومع ذلك فإنّهم يعيشون عيشة مأساويّة فوق تلك الأرض المليئة بكلّ تلك الكنوز الباطنيّة ينبغي أن يتقدّم الإنتاج في البلد وخصوصًا الإنتاج القائم على العلم والمعتمد على المهارات العلميّة والتجريبيّة، وهذا الأمر بيد العامل وربّ العمل وإدارته بيد الدولة وعليها أن تقوم بتنظيم الأمور وبذلك الجهد[٢٥].

أمّا في مجالات التقدّم المنشود، فيحدّد الإمام عناوين أربعة أساسيّة منها تشكّل بمجموعها الإطار الكلّيّ للتقدّم الذي تحتاجه الأمّة كنموذج متكامل، وهو دون شكّ نموذج لم تعرفه لا المجتمعات ولا الأنظمة الحديثة طالما أنّه ينطلق من الطاقات الروحيّة الكامنة في الفرد والتي تتكامل مع طاقات الجماعة فالأمّة في قالب فريد متميّز يحمل في طيّاته عظمة الإسلام وفرادته كسبيل خلاص أراده الله تعالى للأمّة، وهذه النماذج هي كما يلي:

١- التقدّم في مجال الفكر وصولًا إلى المجتمع المفكّر، حيث تعدّدت الآيات التي تصف «لقوم يتفكّرون»، «لقوم يعقلون» وبحيث يتحوّل توقّد الفكر والتأمّل والتدبّر في المجتمع إلى حقيقة ظاهرة، تبدأ من عموم النخب وتتدفّق إلى عموم الناس.

٢- التقدّم في مجال العلم، العلم الذي هو محصول الفكر، وصولًا إلى الإبداع العلميّ والتوجّه نحو الاستقلال، والنهل من العلم ينبغي أن يكون بشكل عميق وبنيويّ.

٣- التقدّم في مجال الأمن، العدالة، الرفاهيّة، الاستقلال، الكرامة الوطنيّة، والحريّة والتعاون والحكم.

٤- التقدّم في المجال الروحيّ، وهو أهمّها، بحيث يتقدّم المجتمع باتّجاه المزيد من المعنويّات، فالمعنويّات هي الروح للعلم والسياسة والحريّة، ويمكن الاستحواذ على قمم العلم وفتحها بواسطة المعنويّات، فعندما توجد القيم المعنويّة يوجد العلم، وعندها تصبح الدنيا دنيا إنسانيّة.

إنّ النموذج الكامل لتلك الدنيا سيتحقّق في زمان الظهور، ونحن اليوم نتحرّك

---

(٢٥) خطبة للإمام بعنوان «عناصر تقدّم العلم والإنتاج»، بحضور عمال نموذجيّين من إيران، بتاريخ ٢٨/٤/٢٠١٠.

في المجالات التمهيديّة نحو العالم الإنساني"[٢٦].

وبرأي الإمام أنّ التقدم لا يُحرز إلّا بروحيّة الشجاعة والثبات والتضحية داخل كلّ عالم أو باحث، فيحدّد لإحرازه عنصرين من الضروريّ أن يتوفّرا في الجانب الشخصيّ للعالم: أوّلاً، مواجهة الخطر، وثانيًا، العمل الشاقّ والدؤوب والجدّيّ دونما خوف من الفشل، وهذه من مميّزات الغرب التي حملها باتّجاه ثورته الصناعيّة التي سبّبت له السيادة على أصقاع الأرض.

لقد أوضح الإمام معالم التقدّم بكافّة أبعاده: البُعد الإسلاميّ للتقدّم بات متميّزًا عن المفهوم الغربيّ، والتقدّم المتكامل الذي يتأسّس في كافّة مراحل الدراسة وصولاً إلى الجامعة، والتقدّم الذي يمدّ أغصانه نحو الأمم الأخرى والقائم في أساسه على الإبداع والثقة وعدم الخوف، والمرتبط بعجلة الإنتاج القوميّ إنّما يحلّ به أزماته وينطلق به، إنّ هذا التأسيس للتقدّم إنّما يتمّ استثماره باتّجاه الرؤية العلميّة الكبرى للأمّة جمعاء، للوصول بالأمّة إلى برّ الأمان السياسيّ والاقتصاديّ والاستراتيجيّ، والوصول إلى هكذا مستوى من الأمان يتّضح من خلال المعالم التي تسمح بالقفزة الواسعة الموعودة نحو القوّة والعدالة، فيحدّدها الإمام بعوامل ثلاثة.

«العامل الأوّل: تواجد جيل من الشباب من الخريجين في ميادين البحث العلميّ والنشاطات السياسيّة والاجتماعيّة وبالملايين.

العامل الثاني: عامل التجربة التي ساهمت في مواجهة المشكلات المختلفة من قبل نخب البلاد ومفكّريها ومسؤوليها.

العامل الثالث: تحسّن البنى التحتيّة للبلد، فالأشياء اللازمة للتقدّم الواسع في الاتّصالات والمواصلات والبحث العلميّ والبناء صارت متوفّرة.

شباب بلادنا يصنعون وينتجون مصافي الطاقة ومحطّاتها، المراد من التقدّم هو أن يكون في جميع الجوانب، في الثروة الوطنيّة، في العلم والتقنيّة، في

---

(٢٦) خطبة للإمام بعنوان «التقدّم العلميّ والنموّ في ميدان العلم»، بحضور نخب علميّة وأساتذة جامعات، تاريخ ٢٠٠٨/٩/٢٤.

الاقتدار الوطنيّ والعزّة الدوليّة، في الأخلاق المعنويّة، وفي أمن البلاد الاجتماعيّ والأخلاقيّ، أن نعطي أحسن ما عندنا وبأفضل طريقة، والتقدّم المراد يجب أن يكون مصحوبًا بالعدالة، والعدالة كمفردة يجب البحث فيها بأن يشارك الجميع ويستفيد الجميع، وأن نخفض الفواصل الطبقيّة والجغرافيّة ونوفّر المساواة في الاستفادة من الإمكانات والفرص، ونكافح الفساد الماليّ والاقتصاديّ(٢٧).

تجدر الإشارة إلى أنّ المراد من التقدّم كما نصّ عليه الإمام، قد أرسى ركائز عميقة من الثقة والإنطلاق في نفوس الإيرانيّين، فاليوم تعيش إيران نهضة تقترب من المعجزة، نهضة تتجلّى في مستوى هائل من الإتقان والإنتاج والنموّ والتطوّر خلال ثلاثين سنة، وتستمرّ المسيرة الظافرة مع إعلان جديد للإمام الخامنئي بأنّ العشر سنوات الحالية قد وسمت بعنوان: عقد التقدّم والعدالة، ما يعني اقتران الرؤية الساطعة للعلم والتقدّم مع التجربة الناجحة التي تتجلّى من خلال النجاح في النانوتكنولوجيا، والاستنساخ والاستنسال، وغزو الفضاء، والعدالة والكفاية الاجتماعيّة، والأهمّ تقديم النموذج الإسلاميّ الحيّ للتقدّم على مستوى تجربة بناء الدولة، وعلى مستوى الحضور الإقليميّ والدوليّ الرياديّ تجاه الدول الإسلاميّة، وتجاه قضايا العدالة والتحرّر والاستقلال لدى الدول المستضعفة.

النموذج العلميّ لتعاطي الغرب مع العلم وأخلاقيّات العلم

في الأساس، يربط الإمام كثيرًا بين القدرات التي يمتلكها الغرب ودور العلم في تحصيل هذه القدرة، ويعتبر العلم الأداة المباشرة نحو الاقتدار، ولكن بالمقابل يدعو الإمام إلى التمسّك بالعلم ويشدّد على ضرورة تحطيم قيود الغرب على الأمم المستضعفة، ويؤكّد أن لا قدرة للغرب على إيقاف مسيرة المستضعفين نحو العلم وهذه حقيقة ثابتة: «**لا أحد يوقف مسيرة**

---

(٢٧) خطبة الإمام بعنان «عقد التقدّم والعدالة»، بحضور أهالي مشهد وزوّار المرقد الطاهر للإمام الرضا (ع)، بتاريخ ٢٠٠٩/٣/٢١.

العلم في بلادنا».

فقال أمام النخب العلميّة:

ثروة العالم الغربيّ إنّما هي بفضل العلم، واقتداره بواسطة العلم، ومنطق القوّة الذي يستخدمه في الوقت الراهن بسبب ما لديه من علم. المال بحدّ ذاته لا يسبب الاقتدار، ما يثمر الاقتدار هو العلم. لو لم يكن لأمريكا اليوم تقدّمها العلميّ لما استطاعت ممارسة كلّ هذا التعسّف في العالم والتدخّل في كلّ قضايا العالم. حتّى الثروة التي تستحصل إنّما هي بسبب العلم. اهتمّوا بالعلم هذا هو ما يجعلني أشدد منذ سنوات على قضيّة العلم، والبحث العلميّ، والتقدّم والإبداع، وتحطيم حدود العلم. اقتدار البلد غير ميسور من دون أنواع العلم: العلم يبعث على الاقتدار. أحد الرؤساء في العالم ولا أريد أن أذكر اسمه الآن قال "تعالوا نقصف المراكز النوويّة الإيرانيّة، فردّ عليه رئيس آخر بالقول: لا يمكن قصف العلم وهو على حقّ فيما يقول[٢٨].

وفي مقام آخر، يجهد الغرب لكي يعمق مساره نحو العلم ويذهب به إلى التنافس والتفوّق والسيطرة ولكنّه في نفس الوقت لا يريد للأمم الأخرى أن تنطلق بالعلم لكي يخلو له الميدان ويبقى وحيدًا مع سلاح العلم نحو ابتزاز الأمم وقهرها وسلب ثرواتها، وهو يعمد إلى القضاء على كلّ محاولة للنهوض العلميّ لدى غيره ويرسل الجواسيس للتربّص بمنافسيه وخصومه ليقتل أيّ مشروع نهوض علميّ آخر في مهده وبذات الوقت يتّهم خصومه بعدم القدرة على المنافسة تارة وبعدم الأهليّة العلميّة تارة أخرى، ومثلما لا يريد للعلم أن ينهض عند الأمم المستضعفة فإنّه يصوّب على ركائز العلم ودعائمه المتينة التي تسير به نحو الهداية ألا وهي تعاليم الدين والتي منها تتفرّع أخلاقيّات العلم، وليس أدلّ على هذا الكلام إلّا التآمر والتواطؤ الغربيّ الصهيونيّ لاغتيال العلماء النوويّين الإيرانيّين، حيث مقابل هول الجرائم هذه فإنّنا لا نلمس إلّا الصمت الدوليّ ووقف أيّ ردّ فعل شاجب أو

---

(٢٨) كلمة الإمام أمام النخب العلميّة بتاريخ ٢٠١٤/٨/١٦.

مستنكر، الأمر الذي يعبّر عن الرضا والقبول بهذه الجرائم كتأكيد لتعاطي الغرب بمكيالين، وقد وصف الإمام هذا الواقع بالقول:

إنّ عدوّنا قد برمج لعملين في جامعتنا: الأوّل حذف العلم والثاني حذف الدين أي أن يتمّ القضاء على العلم في الجامعة وأن يتمّ القضاء على الدين في الجامعة واغتيال العلماء أحد الأعمال الصغيرة والتي يتبعها مسألة أكثر تعقيدًا ألا وهي إلهاء جامعتنا وطلابنا بالأعمال غير العلميّة[٢٩].

لقد انطلق الغرب نحو التوسّع الاستعماريّ منذ قرون عدة متسلّحًا بسلاح العلم ووصل إلى جعل العالم «قرية كونيّة» وتواصلت أصقاع الأرض بعضها ببعض لحظة بلحظة، واستجابة لدعوات المنظّمات الاجتماعيّة والإنسانيّة للتقيّد بالقيم والمثل العليا الإنسانيّة، فقد وضع ضوابط محدّدة لأخلاقيّات البحث العلميّ وكيفيّة التعاطي مع المنتج المعرفيّ العلميّ وكانت نزعة حماية حقوق الإنسان وحريّته وصحّته هي الأصل في هذه الأخلاقيّات إلّا أنّ المشكلة كانت في المعايير المختلفة عند التطبيق، فالنفس الإنسانيّة مصانة ومحترمة لدى الإنسان الغربيّ فقط فيما الإنسان في أفريقيا والعالم الثالث هو حقل تجارب على الغاز والأسلحة الكيميائيّة وعلى العقاقير الجديدة للتأكيد من فاعليّتها، والعلم والحذاقة هما استخدام منتجه العلميّ في كسب الأسواق الاستعماريّة، وقد تطاحنت هذه الدول تحت عنوان كسب المزيد من الأسواق في حروب كونيّة، وضرب الاستعمار عرض الحائط الأبعاد الإنسانيّة الكامنة في العلم والبحث العلميّ واستنكر النبل والرقيّ والرفعة في العلم والبحث العلميّ عندما اصطدم بمصالحه الإستراتيجيّة واحتكر العلم كأداة تفوّق ومنفعة، وقد وصف الإمام التعاطي الغربيّ باحتكاره العلميّ مع سواه بالتعاطي الخسيس فقال:

وفي مجال عرض الإمكانات العلميّة هناك بخل وخسة من قبل أصحاب هذه الإمكانيّات العلميّة- وهم البلدان المتقدّمة علميًا- يجب أن نبدي عن أنفسنا

---

(٢٩) كلمة الإمام في لقائه مع مجلس خبراء القيادة ٢٠١١/٠٩/٨.

قبالها عزّةً وتعفّفًا وفورانًا وتفجّرًا داخليًّا. على الرغم من السخاء العلميّ الذي يتظاهر به العالم اليوم، فإنّه في غاية الخسّة العلميّة. الذين استطاعوا بفضل عوامل متعدّدة ومتنوّعة، وفي برهة زمنيّة معيّنة، أن يتوفّروا على التقدّم العلميّ ويمتلكوا محرّك التقدّم ويسبقوا جميع البشر- وهم البلدان الغربيّة المتقدّمة التي توفّرت على العلم والمعرفة منذ عصر النهضة تقريبًا وإلى اليوم، وقد كنّا نحن ذات يوم حملة العلم- هؤلاء احتكاريّون ولا يريدون لدائرة هذا العلم والاقتدار أن تتّسع. يعارضون توفّر الشعوب على العلم، خصوصًا بعد أن تحوّل هذا العلم عندهم إلى وسيلة سياسيّة، وقد ولد الاستعمار من رحم العلم. العلم هو الذي استطاع تقويتهم ومنحهم الاقتدار، لذلك ساروا في أنحاء العالم وظهر الاستعمار، وإلّا فالشعوب كانت تعيش حياتها العاديّة. أين بريطانيا من أندونيسيا؟ ساروا بأدوات العلم واستعمروا تلك المناطق. حينما ولد الاستعمار من رحم العلم وصارت القوّة الدوليّة والسياسيّة تعتمد على العلم، وجدوا أنّ عليهم عدم تزويد الآخرين بهذا العلم، وإلّا فسوف تتعرّض قوّتهم للخطر والتهديد. وقد عملوا على هذا الشاكلة إلى اليوم[٣٠].

وتكمن المشكلة في أنّ احتكار العلم هو حجّة للدول المستكبرة أن تبرّر سيطرتها على العالم وفق منطقها السافر وأنّها بهذه الاعتبارات وبأعمالها تخون رسالة العلم وتخون الإنسانيّة وتذهب إلى حدّ التهديد بالحرب ضدّ من يحاول امتلاك العلم ويحاول السيطرة على تقنيّاته وليس أبلغ من ذلك إلّا تعاطي هؤلاء مع جهود إيران لامتلاك الطاقة النوويّة كمصدر للطاقة السلميّة البحتة رغم يقين هؤلاء أنّ إيران لا تسعى ولا تريد امتلاك السلاح النوويّ، لا بل تعتبر أنّ حيازته لم تحلّ أيّ مشكلة لأصحابه من دول النادي العسكريّ النوويّ، فقال في هذا الإطار:

مستكبرو العالم والذين يرون حكم العالم من حقّهم - وهم هذه البلدان المستكبرة- يسمّون أنفسهم المجتمع الدوليّ، والحال أنّ المجتمع العالميّ ليس هذا،

(٣٠) كلمة الإمام في أساتذة الجامعات بتاريخ ٢٠١٠/٩/٥.

المجتمع العالميّ هو الشعوب وحكوماتهم. عدد من البلدان يطلقون على أنفسهم اسم المجتمع العالميّ ويصدرون الأحكام ويتحدّثون ويبدون التوقّعات والمطالب باسم المجتمع العالميّ! تبرّر هذه البلدان هيمنتها على العالم باحتكارها للعلم والتقنية. جزء من هذا الضجيج الذي يثيرونه هو من أجل أن لا يكسر هذا الاحتكار. إذا استطاعت الشعوب التقدّم في القضيّة النوويّة وفي مجالات الفضاء والإلكترونيّات ومختلف القضايا الصناعيّة والتقنيّة والعلميّة فسوف لن يبقى مجال لسيادتهم التعسّفية المتغطرسة على العالم.

من أكبر الجرائم التي ارتكبت ضدّ البشريّة هي أنّ العلم أصبح في الثورة الصناعيّة خلال القرنين أو الثلاثة الماضية وسيلة للتعسّف. البريطانيّون وهم من روّاد الثورة الصناعيّة استخدموا إمكانيّاتهم هذه للانطلاق إلى أنحاء العالم وأسر الشعوب وتصفيدها في الأغلال. تعلمون ما الذي جرى خلال فترة حكم البريطانيّين في شبه القارّة في هذه الساحة الكبيرة والثريّة؟ ولم يكن الأمر يتعلّق بشبه القارّة فقط، إنّما كلّ منطقة شرق آسيا كانت لسنوات طويلة - لأكثر من قرن - تحت أحذيتهم، حيث تسلّطوا على الناس بأدوات العلم التي امتلكوها، وبلغت قلوب الناس الحناجر، وكم من البشر أبيدوا، وكم من الآمال أبيدت، وكم من الشعوب تأخّرت، وكم من البلدان تخربت. هكذا استخدموا أدوات العلم، وهذا أكبر خيانة للعلم، كما أنّها أكبر خيانة للبشريّة. ويريدون لهذا الاحتكار أن لا يكسر.أيّ شعب يستطيع الوقوف على أقدامه باستقلال- لا بفضل بطاقتهم وتراخيصهم وتحت هيمنتهم، وفي قبضتهم- يكون قد وجه ضربة لهذا الاحتكار، وهذا ما حصل ويحصل اليوم لحسن الحظ في إيران.

الضجيج الذي يثيرونه هدفه هو إيقافنا وصدنا عن هذا الطريق. يعلمون أنّنا لا نسعى للحصول على السلاح النوويّ، فهذا ما أدركوه وعلموه. إنّني لا أشكّ في أنّ أجهزة اتخاذ القرار وصناعة القرار في هذه البلدان التي تقف بوجهنا تعلم وعلى إطلاع بأنّنا لا نسعى للحصول على سلاح نوويّ. الواقع أنّ السلاح النوويّ لا ينفعنا وغير مجد بالنسبة لنا، مضافة إلى أنّنا نعتبر أنّ هذا الشيء مرفوضٌ

من الناحية الفكريّة والنظريّة والفقهيّة، ونعتبر التحرّك في هذا الاتّجاه تحرّكًا مرفوضًا، إنّنا نعتبر استخدام هذه الأسلحة ذنبًا كبيرًا، والاحتفاظ بها عملًا عبثيًّا كثير الأضرار والمخاطر ولا نسعى له أبدًا. وهم يعلمون ذلك لكنّهم يضغطون على هذه النقطة ليوقفوا هذه المسيرة.

نريد أن نثبت للعالم أنّ امتلاك السلاح النوويّ لا يوفّر الاقتدار، والدليل على ذلك أنّ القوى التي تمتلك السلاح النوويّ تعيش اليوم أصعب المشكلات، لقد تسلّطوا على العالم بالتهديدات النوويّة، لكنّ هذه التهديدات لم يعد لها مفعولها اليوم. نريد أن نقول إنّنا لا نسعى لامتلاك السلاح النوويّ ولا نرى الاقتدار في هذه الأسلحة، ونستطيع كسر الاقتدار القائم على السلاح النوويّ وسوف يفعل هذا الشعب هذا الشيء إن شاء الله[٣١].

باحتكاره للعلم أساء الغرب لأخلاقيّات العلم وطعن في أصل رسالة العلم والمعرفة، وبالمقابل فإنّ أداءه مع مشروع النهضة والتقدّم لم يلغِ المشكلات التي تعاني منها الإنسانيّة كالفقر والتميّز وغياب العدالة في العالم، وقدّم الإمام الخامنئي نموذج الهند، بلد نهرو الذي أمعن فيه البريطانيّون نهبًا للثروة والمواد الأوليّة وقتلًا لكلّ معارض لهم، ثمّ وفي معرض آخر يرفض الإمام النموذج الذي يقدّمونه اجتماعيًّا واقتصاديًّا ويرفض انحطاطهم الأخلاقيّ كنموذج مكمّل لمنظومة الحرّيّة والديمقراطيّة لديهم والتي لم تعرف حدودًا حتّى حدود الكرامة الإنسانيّة وإنسانيّة الإنسان ويقدّم النموذج الإسلاميّ الإنسانيّ للتقدّم والذي كما ذكرنا سابقًا ينطلق من الإنسان ولأجل إنسانيّته أوّلًا وآخرًا، ويعبّر الإمام عن ذلك بالقول:

إنّنا إذا كنّا نسعى للتطوّر ونعتبر التطوّر العلميّ شرطا لازمًا للتقدّم العامّ في البلاد، فيجب أن نلاحظ أنّ مرادنا من التقدّم ليس التقدّم حسب النموذج الغربيّ. ورقة العمل الأكيدة لنظام الجمهوريّة الإسلاميّة هي متابعة نموذج التقدّم

---

(٣١) كلمته في مسؤولي المنظمة الوطنيّة للطاقة النوويّة والعلماء الذريّين في البلاد بتاريخ ٢٠١٢/٢/٢٢.

الإيرانيّ- الإسلاميّ. إنّنا لا نروم التقدّم بالشكل الذي سار وراءه الغرب وتقدّم. التقدّم الغربيّ ليست فيه أيّة جاذبيّة للإنسان المعاصر الواعي. تقدّم البلدان الغربيّة المتطوّرة لم يستطع القضاء على الفقر، ولا القضاء على التميّز، ولا تكريس العدالة في المجتمع ولم يرسّخ تكريس الأخلاق الإنسانيّة. أوّلًا كان ذلك التقدّم قائمًا على أساس الظلم والاستعمار ونهب البلدان الأخرى. لاحظوا أنّ أحد السادة الآن ذكر شيئًا عن هجوم البرتغال على إيران، ولم تكن القضيّة تقتصر على إيران فحسب. في منطقة شرق آسيا هذه توجّه البرتغاليّون إلى الكثير المناطق وكذلك الهولنديّون، وكم لهولندا من العرض والطول الجغرافيّ والسوابق التاريخيّة والقيمة العلميّة؟ وكذا الحال بالنسبة للبرتغال وإسبانيا وبريطانيا؟ لقد استولوا على كلّ هذه القارة الآسيويّة العظيمة والقارّة الأفريقيّة وحبسوهما في قبضاتهم لأنّهما كانتا أقطابًا للثروة.

انظروا لكتابات نهرو في كتابه **نظرة لتاريخ العالم** فهو يشرح التقدّم العلميّ والتقنيّ في الهند قبل دخول البريطانيّين. إنّني قبل أن أطّلع على هذه المعلومات من زاوية نظر شخص مطّلع مثل نهرو- كتبها في ذلك الحين- لم أكن على علم بهذه القضيّة. يسير بلد في مسار علميّ معقول وصحيح، ثمّ يأتون بفضل العلم بالأسلحة ليحتلّوا ذلك البلد ويقتلوا أبناءه دون رحمة وينهبوا مصادره وثرواته، ويفرضوا أنفسهم عليه. انتزعوا الثروات من الهند وأخذوها للاستثمار في بلدهم وكنزوها وخزّنوها. استولى البريطانيّون على أمريكا بالمال الذي حصلوا عليه من الهند، إلى ما قبل سنوات استقلال أمريكا عن بريطانيا، حيث كان البريطانيّون مهيمنون على أمريكا، كان معظم وارد التجّار البريطانيّين من التجارة التي يقومون بها بين الهند والسواحل الأمريكيّة. ثمّ أدّى الأمر إلى مواجهتهم من قبل سكان أمريكا- وطبعًا ليس سكان أمريكا الأصليّين المحليّين، بل هذه المرّة أيضًا كانوا من المهاجرين البريطانيّين والإسبانيّين وغيرهم- واشتعلت الحرب، ومن ثمّ كان استقلال أمريكا حيث انتهت فترة الهيمنة الأمريكيّة. على كلّ حال، أقاموا أسس حضارتهم على امتصاص دماء الشعوب، وبعد ذلك

وبالتطوّرات المتنوّعة التي تحقّقت لم ينهوا الظلم في بلدانهم ولا قضوا على التميّز، ولا استطاعوا إغناء المجتمعات الفقيرة. وترون اليوم كيف هو الوضع الاقتصاديّ لهذه البلدان، وكيف هو وضعهم الاجتماعيّ، وما هو وضعهم الأخلاقيّ: هذا الانحطاط الأخلاقيّ مستنقع الأخلاق الجنسيّة في الغرب. تقدّم الحضارة الغربيّة مثل هذا التقدّم وبهذه الخصوصيّات، وهذا ما لا نرتضيه بأيّ حال من الأحوال. إنّنا نسعى وراء نموذجنا المحبّذ المبدئيّ، وهو نموذج إسلاميّ وإيرانيّ نابع من هداية الإسلام ويستقي وينتهل من الاحتياجات والتقاليد الإيرانيّة. إنّه نموذج مستقلّ. طبعًا يبذل الباحثون والخبراء في الوقت الحاضر الكثير من الجهود من أجل تدوين هذا النموذج[٣٢].

أمّا على المستوى الحضاريّ فقد خاب النموذج الذي تبجّح الغرب به وعانت مجتمعاته ولا تزال من العنف والقتل والنهب رغم ما يظهره الإنسان الغربيّ من أدب ولياقة وأناقة، وبانت أبشع مظاهره التي حطت من قدر الذات الإنسانيّة بما عرف بزواج المثليّين، فخرج فسادهم من ستاره الداخليّ إلى عموم المجتمع وكلّ ذلك بعنوان الحريّة الفرديّة وضرورة تقديسها في كلّ مظاهرها وحتّى في أبشع صور انحطاطها، وقد وصف هذا الانحطاط بقوله:

لقد ظهرت الحضارة الغربيّة الحاليّة على أساس تكريم الإنسان. لقد قامت كلّ هذه الحضارة على أساس الأومانيّة (Humanity) وأصالة الإنسان. ومعنى ذلك أنّ الإنسانية هي العنصر الأصليّ والهدف الأساسيّ والقبلة الأصليّة لهذه الحضارة.

ونرى أنّ الإنسانيّة قد سحقت اليوم في نظام الحضارة الغربيّة، وقد منيت حقًّا وإنصافًا بالهزيمة. إلى ما قبل مدّة قصيرة كانوا يتكتّمون على هذا الضعف والنقص بلبوس العلم والأدبيّات الجامعيّة، لكنّ هذه النواقص ونقاط الضعف بدأت تظهر تدريجيًّا، وراح باطن هذه الحضارة المادّيّة- المناهضة للإنسان

---

(٣٢) لقاء الإمام مع أساتذة الجامعات في ٢٨ شهر رمضان ١٤٣٤ هجريّة.

والمضادة للفطرة الإلهيّة- يفصح عن نفسه. من النماذج على ذلك القتل والنهب والعنف، وحالات العنف والقتل والنهب تراكمت إلى درجة لم تعد معها خافية على أحد. ذات يوم كانت بريطانيا تمارس جرائمها في الهند وفي بروما ولكنّهم يتمظهرون في مناطق أخرى بالأناقة والأدب واللياقة. أمّا اليوم فقد ولّى ذلك العهد، وصار الجميع على علم بما يمارسونه من عنف. والذين يتحدّثون بكلام الناس يصارحون جبهة الاستكبار بكلّ هذا العنف الذي تمارسه. القتل والنهب والعنف والشهوات الماسخة للإنسان: زواج المثليّين! وهذا غير المثليّة الجنسيّة، وهو أسوء منهما بكثير، فهو منكرٌ مضاد للفطرة يروجونه علنًا في حياتهم: «وتأتون في ناديكم المنكر».. كما ورد في **القرآن الكريم**، إنّهم اليوم يعترفون علنًا وصراحة بهذا الشيء، والشخصان الشاذان يتزوّجان بعضهما علانية ويسجّل زواجهما في الكنائس، ورئيس جمهوريّة أمريكا يصرح ويبدي رأيه ويقول إنّني أوافق هذه الأعمال ولا أعارضها! بمعنى أنّ ذلك الفساد الباطنيّ والداخليّ خرج من وراء الستار على مستوى الشهوات وما إلى ذلك[٣٢].

لقد قادت فلسفة الغرب القائمة على احتكار العلم وجعله أداة توسّع وهيمنة إلى ارتكاب الكثير من الأخطاء على الساحة الدوليّة وإلى كسر كلّ القيم والأعراف الإنسانيّة لحماية مشاريعه في المنطقة العربيّة، فالغرب اليوم يدعم الإرهاب بصراحة، يدعم قوىً تستخرج كبد الإنسان من صدره وتمضغه أمام الكاميرات بعنوان ضرورة العمل لتغيير الأنظمة الخارجة عن إرادتهم ويبرّرون فعلتهم بالادّعاء أنّهم لا يدعمون هذا العمل ولكن يدعمون هذه الجهة المعارضة الفلانيّة والتي هي في الحقيقة تقف وراءه وتغطّي عمله الشنيع. والغرب اليوم يهين المقدّسات ويشوّه حركة الأنبياء تحت عنوان الحريّة، وهذا بحدّ ذاته سقوط للغرب وللنموذج الإنسانيّ الذي يدعو للتمسّك به، فالأمم المظلومة من العالم الثالث تعلم جيّدًا الفارق الشاسع بين ادّعاءات الغرب وما يفعله، وبعض القادة المأجورين

(٣٢) كلمة الإمام في لقائه مجلس خبراء القيادة بتاريخ ٦/٣/٢٠١٤.

من هذه الدول يجاملون تارة ويكذبون تارة أخرى، لكنّ الشعوب تكره هذا النموذج وتبغض أمريكا ومن وراءها، إنّها هزيمة لمشروعهم ولسمعتهم وإنّها ذهاب لماء وجههم أمام سائر الشعوب: والغرب لا يريد لنا أن نبدأ وهو يضع العراقيل الماديّة والمعنويّة وحتّى النفسيّة أمامنا على أساس أن لا قدرة لنا على التقدّم وبالتالي لا داعي للمحاولة، وكان المانع الأكبر أمام بداية الأنظمة التي زرعها في العالم الإسلاميّ والتي ذهبت إلى حدّ معاقبة أفراد الأمّة على التفكير بالانعتاق من التبعيّة السياسيّة والعلميّة والاقتصاديّة للغرب، ويعطي الإمام مثلًا يكرّره في أكثر من مناسبة، وهو قطع غيار الطائرات التي كانت تستورد من أمريكا قبل الثورة، فلم يكن مسموحًا لحرفيّي وضبّاط سلاح الجوّ الإيرانيّ بفتح القطعة، وعندما كانوا يفعلون ذلك كانوا يقدّمون للمحاكمة، والمطلوب كان تقديم أيّ قطعة معطّلة إلى المستشار الأمريكيّ ليأتي بأخرى من أمريكا من دون معرفة سبب العطل وإمكانيّة إصلاحه، أمّا اليوم فقد وصلت الصناعة الجويّة الإيرانيّة إلى مستوى صنع طائرة تحلق اليوم في سماء الوطن الإيرانيّ وتدافع عنه بهمّة وسواعد المبدعين في إيران.

رؤية الإمام لأخلاقيّات العلم

وأمام عثرات النموذج الغربيّ للعلم وقبلًا لأخلاقيّات العلم التي بقيت نظريّة في الكثير من الأحيان، وتوجّه الغرب إلى اعتبار العلم سلاح تفوّق يحتكره لأجل التوسّع والسيطرة ونهب مقدّرات شعوب العالم المستضعفة، كان للإمام الخامنئي رؤية خاصّة لأخلاقيّات العلم ولكيفيّة التعاطي مع العلم وذلك من خلال المنظور الإسلاميّ تأسيسًا على الأطر المستمدّة من الجذور القرآنيّة، وفيما يلي نستعرض بعضًا من عناوين الرؤية، فقد حدّد الإمام حقيقة العلم الذي يريده الإسلام، وميّزه عن العلم الذي جعله الغرب مجرّد أداة، فوضعه في إطار التكامل بين البشر وتحقيق أماني

السلام والعدالة فقال:

إنّ الاختلاف بين نظرة الإسلام والعالم المادّيّ تجاه مسألة العلم هو أنّنا نريد العلم لسعادة البشر وتكامله وتفتح استعداداتهم واستقرار العدالة التي هي أكبر الأماني البشريّة، فيما يراد من العلم أن يكون خادمًا لأكثر الناس والمجتمعات ظلمًا، ويجب أن يخرج من هذه الوضعيّة ...إنّ نظرة الإسلام إلى العلم هي نظرة الشرف والنظافة والبعد عن الهوى والهوس، هي نظرة التوجّه المعنويّ فنحن إنّما نريد العلم لأجل هذا، ولهذا ينبغي أن نسعى في هذا المجال[٣٤].

فأصل السعي في اتّجاه العلم هو سعي إنسانيّ لتحقيق إنسانيّة الإنسان وسعادته، وهذه المسألة هي محور الخلاف حول النظرة للعلم بين الإمام والغرب، الذي ألحق بنفسه عار إدخال العلم وسيلة لقهر الشعوب الأخرى، ومنع التقنيّة والرفاهيّة عنها وحاصرها بالجهل المقيت طيلة قرون من الزمن، ثمّ يؤكّد في خطبة سبقتها حاجة البشريّة للعلم والأخلاق مع تقديم أولويّة الأخلاق على العلم ليشكّل البيئة الحاضنة نحو "علم إنسانيّ" لا علم تلحق به خطيئة قتل الإنسان لأخيه الإنسان عن طريق التفوق التقني والاستعلاء العرقي والعنصري المتجلي في سلوك الغرب، فيقول:

إنّ تحصيل العلم والمعنويّة، والعلم والإيمان، والعلم والأخلاق، هو ما يفتقر إليه العالم اليوم، وإنّ الجامعة الإسلاميّة توفّر العلم مع الإيمان، والعلم مع المعنويّة، والعلم مع الأخلاق بلا فصل أحدهما عن الآخر.

إنّها تمنح العلم والمعرفة استمدادًا من معين الأخلاق والإيمان.

إنّ الذين يقولون بالتناقض بين العلم والدين، لم يشاهدوا منطقة نفوذ العلم والدين، فلكلّ منهما منطقة نفوذ معًا، والمزج بينهما يعني أن يوجّه الإيمان سلاح العلم نحو الجهة المطلوبة، لأنّ سلاح العلم يمكن أن يستهدف الأخيار والأشرار، ولكن الأمر يتوقّف على من يمتلك هذا السلاح. إنّه سلاح العلم، وأمّا الإيمان فهو

(٣٤) كلمة الإمام مع جمع من النخبة الشبابية في ٢٠٠٦/٩/١٦.

الذي يسير به في الاتّجاه الصحيح[٣٥].

ولأنّ العلم يقترن بالأخلاق والدين وينطلق بهما فهو محكوم من وجهة نظر الإسلام بأن يحقّق السعادة الإنسانيّة ويبقى في خدمتها وإلّا يصبح العلم أداة استعمار وقتل وتهديد للإنسانيّة، وبالتالي، يبقى العلم محكومًا بخطاب ثقافيّ إنسانيّ مكثّف ومركّز حتّى ينمو به ويتعزّز من خلاله بالتصويب الصحيح نحو الإنسان وإنسانيّته أوّلًا وآخرًا، ويعبّر الإمام مباشرة عن هذا المعنى بالقول:«يجب أن نجعل الدين والأخلاق توأمين للعلم»[٣٦].

ويدفع الإمام كلّ الأمّة باتّجاه طلب العلم لأنّ النموذج الغربيّ الذي أراده للعلم هو أسلوب احتكار العلم وإقصاء للآخرين عن بلوغه باعتباره أداة لتفوّقه، فعلى الأمّة واجب إدراك العلم وبلوغ أعلى مراتبه، للحؤول دون الوقوع في فخّ الحاجة له، فالغرب يمثّل باحتكاره العلم وابتزاز الأمم الأخرى به خروجًا عن كلّ أخلاقيّات العلم التي من المفترض أن تؤطّر حركته، لكون العلم مسألة راقية ترقى بالإنسان ذهنيًّا وسلوكيًّا نحو الكمال، فيقول:

العلم هو أساس التقنيّة المتطوّرة وتقدّم الحضارة المادّيّة والمدنيّة المتعلّقة بالمسائل الحياتيّة، ولو كان همّكم الاعتماد على الآخرين في هذا العلم والقيام بعمليّة الاستهلاك فسوف لا تتمكّنوا من تحقيق أيّ هدف، فالعلم ليس سلع استهلاكيّة نستوردها، بل على الأمّة إيجادها وإلّا حرمت منها، وهذا هو تمامًا ديدن الغرب في التعاطي مع ملف الطاقة النوويّة السلميّة لإيران: لا يريد الغرب امتلاك إيران لتقنيّة الطاقة النوويّة السلميّة لكي تبقى محتاجة لهم وأسيرة قرارهم السياسيّ يعطوها متى رضوا ويحرمونها متى خرجت إيران من منظومتهم السياسيّة والاقتصاديّة[٣٧].

وعليه، فلا حدود لحركة العلم والبحث العلميّ لدى القطاعات المختصّة

---

(٣٥) لقاء بعنوان «الجامعة ودورها» مع أساتذة وطلبة جامعة الإمام الصادق (ع) في ٢٠٠٦/١/١٩.

(٣٦) المصدر نفسه.

(٣٧) المصدر نفسه.

بهما طالما بقي في إطارين اثنين:

- المصلحة المباشرة للأمّة والتي ترتسم في مشروع النهوض فالاقتدار، فالاستقلال.

- القيم الإسلاميّة ليكون العلم ترجمة حيّة لها نحو المصلحة العليا لإنسانيّة الإنسان ليكون الإنسان في آخر المشروع خليفة الله على الأرض، ولكي نتجنّب تطوّر العلم الأعمى نحو امتلاك القدرة لدى الشعوب القوّيّة لاستضعاف الشعوب المحتاجة، والتفلّت بطرق الإفناء المتبادل بأسلحة الدمار الشامل وخصوصًا بالسلاح النوويّ الذي أوصلته قدرات الإنسان، إلى أن يدمّر الكرة الأرضيّة أربع مرات!!.

إنّ المفارقة التي يتحدّث عنها الإمام هي أنّ أكثر البلدان التي تعاني من فقدان الأمن اليوم هي التي وصلت إلى أعلى المراتب من الناحية العلميّة والتي قالت الكثير في أخلاقيّات العلم والدعوة للالتزام بها والأمر يتعدّى فقدان الأمن ليصل إلى فقدان السعادة الإنسانيّة والعدالة، ويعاني الغرب من التمييز والفروقات الاجتماعيّة الهائلة بين ثروات هائلة وفقر مدقع يؤدّي غالبًا إلى الموت نتيجة الجوع... وهل أنّ البلدان المتقدّمة من الناحية العلميّة قضت على مشاكل الإرهاب والجريمة؟ وهل يتمتّع الأطفال بهذه البلدان بالتربية الحسنة في أحضان آبائهم وأمهاتهم... ولعلّ عناوين الأمن والسعادة والكفاية والأسر هي أهمّ الاحتياجات الإنسانيّة التي يتطلّع إليها البشر من بداية الخليقة وحتّى اليوم.

أمّا تركيز الإمام على ربط العلم بالقيم فقد أفرد له مساحة من التحليل والتعميق فصحيح أنّ الهدف هو العلم، لكنّ شرط الهدف الأوعية والقلوب النيّرة التي تريد البحث في أسرار الكون والتي سوف تجد الله وقدرة الله وعظمة الله والتي ستعقل الخطاب الإلهيّ الموجّه نحو عقول البشر، ولكن من خلال الإبداع في أسرار مكنوناته.

ويولي الأهميّة الفائقة لنوعيّة الذات العاملة في بيئة العلم وفي

الجامعة؛ فالقلوب أوعية كما يقول الإمام (ع)، والعلم لا يستقيم إلّا بعماد النورانيّة في النفس العاملة بالعلم والطالبة له، فيقول في خطاب مع أساتذة الجامعات في طهران:

> إنّ طهارة النفس وصفاءها أمر مهمّ ولازم للجميع، وله تأثير في حياة الجميع، ولكنّه بنظري أكثر أهميّة وفائدة ونفعًا للأساتذة والعلماء. وذلك أوّلًا، لأنّكم أساتذة، فإنّ سلوككم وتصرّفاتكم لها تأثير أكبر من كلامكم في تكوين شخصيّة التلميذ والشاب - فغالبًا ما يكون الأمر كذلك - بحيث إنّه لو كان كلامكم سببًا لسوقه نحو جهة ما ولم يكن سلوككم مصاحبًا لكلامكم في هذا التوجيه، فإنّ هذا السلوك والتصرّف سيؤثّر في مخاطبكم وتلميذكم، أي ذلك المتعلّم والشاب، فهذا أحد أبعاد أهميّة صفاء النفس. لو تمتّع أستاذنا بالروحيّة المعنويّة الصافية فإنّه سينوّر أجواء صفّه وقلوب المتعلّمين. فنحن نحتاج إلى هذا الأمر، وبالإضافة إليه فأنتم علماء، لهذا فإنّ العلم إذا صوحب بالنور سيجد وجهته الصحيحة[٣٨].

إنّه نموذج نقدّمه بفخر إلى الإنسانيّة وننفرد به في الساحة العالميّة: أن ترافق النورانيّة العلم، النورانيّة في قلب العالم، في قلب الطالب وفي أوساط التدريس الجامعيّة، فهو لا يستقيم إلّا بالضوابط الأخلاقيّة وإلّا تلوّث العلم كإطار معرفي سام وانهارت آفاق البشريّة نحو المصير المجهول.

كما يعتبر الإمام أنّ منّ أخلاقيّات العلم تنميته باتّجاه الأهداف المرسومة بعيدًا عن التشتّت في إجراء الأبحاث لأجل الأبحاث لما في الأمر من ضياع للمقدّرات والمصادر الإنسانيّة، إنّ في هذه الدعوة توجيهًا للمقدّرات العلميّة للأمّة نحو خيرها وصلاحها انطلاقًا من العناوين الأخلاقيّة للعلم، فيقول الإمام:

> إنّ تنمية التعليم العالي يجب أن تكون باتّجاه الأهداف المرسومة. على مسؤولي التعليم العالي اجتناب التنمية غير الهادفة بشدّة لأنّ في هذا إتلاف للمال وإتلاف للمصادر الإنسانيّة. يتوجّب النظر ما الذي نحتاج إليه وما هو الهدف وإلى أين

---

(٣٨) كلمة الإمام في أساتذة الجامعات في ٢٠١٠/٩/٥.

نريد الوصول ونقوم بتنمية المناخ التعليميّ في التعليم العالي على هذا الأساس إذًا لنتابع أهدافنا حسب احتياجاتنا. اعتقد أنّ هذه قضيّة حسّاسة ومهمّة جدًّا يجب إحصاء احتياجات البلاد الرئيسية في مجال العلوم و التقنية وكذلك في مضمار العلوم الإنسانيّة، ولا بدّ من البرمجة على أساس هذه النتائج(٣٩).

وفي رأي الإمام أنّ الانطلاق بالعلم وحده لا تحلّ المشاكل ولا تدرك البشريّة سعادتها، والعلم لا يعالج مشاكل الإنسان: لا يعالج أمنه النفسيّ ولا يحلّ مشاكل تفكيك الأسرة والتي أضحت سمة بارزة من سمات المجتمع الغربيّ، ولا يرقى بالنفس الإنسانيّة إلى السعادة المرجوّة، ولذا يدعو الإمام إلى تكامل الدين والعلم، والمراد من الدين هنا تحديد المعرفة الدينيّة الحقيقيّة والإيمان العميق بالله تعالى أصل الوجود وأنّ إرادة الله في الكون ليست إلّا لمصلحة الإنسان وخير سعادته:

فلو تحوّلت جامعاتنا إلى جامعات علميّة بحتة، وخلت من الدين والأخلاق، فسيكون مصيرها ذات المصير الذي منيت به المجتمعات العلميّة الغربيّة. فالمجتمع الغربيّ مجتمع علميّ، لكنّه مجتمع يفتقد لعنصر السعادة، مجتمع يعاني فراغًا في الأمن الخلقيّ، والأمن النفسيّ، والانسجام الأسريّ، كما يعاني اضمحلالًا خلقيًّا ومعنويًّا وهذا أهمّ فراغ يعاني منه البشر. وهذه ليست سعادة ونحن لا نطمح لذلك إنّنا حين نبتغي السعادة نبتغي الأمن الحقيقيّ والمعنويّ وهذا لا يتحقّق بدون العلم كما لا يتحقّق مع وجود العلم وغياب الدين، فالدين ضروريّ أيضًا، ولا بدّ أن يصبح المجتمع مجتمعًا دينيًّا. المجتمع الذي تقع الجامعات في طليعته لا بدّ أن تكون البيئة الجامعيّة بيئة متديّنة وأرجو أن لا يُساء فهمي حول مفهوم التديّن، فالمراد بالتديّن المعرفة الدينيّة العميقة، الإيمان العميق والاعتقاد الثابت الرصين بالدين والمعارف الدينيّة، الذي يستتبع العمل- طبعًا-، لا بدّ أن يكون هدفنا هو هذا فهذه مسؤوليّة الجميع بما فيهم أنتم أيّها الأساتذة الكرام، فكلمة منكم في ساعة الدرس، قد يفوق تأثيرها ساعة أو ساعتين من خطاب هذا العبد الضعيف،

---

(٣٩) المصدر نفسه.

ولا دخل للاختصاص في ذلك، فالعالم أيًا كان اختصاصه، قد يكون لحديثه في ساعة الدرس أثر كبير على بنيّة عقل الشاب وفكره وسلوكه وقلبه وعقيدته، تأمّلوا في ذلك، وفكّروا فيه، فهذا أمر مهم للغاية[٤٠].

ويوضح الإمام تكامل الدين والعلم في أوساط العلم والمعرفة ومراكز الأبحاث بالقول إنّ الإيمان بالله والعمل وفق تعاليم الإسلام هو حاجة قصوى في أوساط التعليم العالي أشد منها في أيّ مكان آخر، والآية الكريمة تؤكّد أنّ العلماء هم أكثر من يؤمن بالله ويتّقيه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٤١].

فالعلم في نظر الإمام أمر معنويّ، ذو قيمة معنويّة وروحيّة أوّلًا وآخرًا، وعليه لا بدّ من تلاقي العلم والإيمان في الجامعة ومن الضروريّ أن تكون الجامعة ومركز البحث نقطتان نعرف بهما الله تعالى ويتعزّز إيماننا به فيهما وأن تكون استقطابًا لأصحاب النفوس السويّة انطلاقًا من النزعة المبدئيّة للعلم وفق ما يؤكّده الإمام:

البعض يتصوّرون أنّ الالتحاق بالجامعات يستلزم عدم التقيّد واللامبالاة تجاه الدين والأخلاق والحجاب والطهارة والنزاهة الدينيّة والأخلاقيّة هذا شيء لا واقع له ونظرة غير صحيحة، الجامعة قطب معنويّ، لأنّ العلم أمر معنويّ- أيّ علم كان- قيمة معنويّة وروحيّة. البيئة الجامعيذة بيئة شابّة ومتديّنة، الأكثر تدينًا في البلاد هم من الشباب، وأكثرنا تضحية كانوا ولا زالوا من الشباب. إذن، ما المبرّر لأن تكون البيئة الشبابيّة لأهل العلم في الجامعات بيئة غير دينيّة؟ كلّا، إنّها بيئة دينيّة، توقّعي هو أنّ الذي يلتحق بالجامعة إذا كان تقيّده الدينيّ قبل التحاقه بالجامعة ضعيفًا يجب أن يتقوّى التزامه وتقيّده الدينيّ بعد التحاقه بالجامعة. إذن النزعة المبدئيّة في المعنويّة والأخلاق أيضًا أمر معتبر ومهمّ، كما هي النزعة المبدئيّة في السياسة وكما هي النزعة المبدئيّة في العلم وفي كل شؤون الحياة[٤٢].

(٤٠) كلمة الإمام مع أساتذة الجامعات في شهر رمضان٢٠١٢.

(٤١) سورة **فاطر**، الآية ٢٨.

(٤٢) لقاء الإمام الخامنئي (حفظه الله) مع أساتذة الجامعات في ٢٠١٢/٨/٦.

وفي إطار آخر، يرفض الإمام أيّ حديث عن حياد العلم في عالمنا اليوم، وتحديدًا في استعمال الغرب له وسيلة هيمنة، ونرى الإمام يفصل بين العلم الذي يجب أن يكون محايدًا في مرحلة اكتشاف الحقائق والذي يجب أن يتجاوز كلّ المعتقدات والأفكار المسبقة، وبين ما يجري استعماله وتوجيهه من مكتشفات علميّة ونتائج إنسانيّة، والتاريخ المشين للغرب يؤكّد ارتباط العلم بالمشاريع الاستكباريّة للغرب في بلاد المسلمين وارتباطه بالحروب والقتل الجماعيّ الذي امتهنه لتأكيد سيطرته على الأمم المستضعفة في آسيا وأفريقيا، ويعبّر عن هذه الحقيقة بالقول:

قد ترد هنا شبهة أحيانًا يطرحون شبهات ومغالطات وهي مغالطات حياديّة العلم يقولون: لا تخلطوا العلم بالسياسة، فالعلم محايد! نعم، العلم في مرحلة اكتشاف الحقائق محايد فالعلم حينما يريد اكتشاف حقيقة من حقائق علم الوجود سواء الحقائق المادّيّة أو الحقائق غير المادّيّة لن تمكّنه ذلك، طبعًا إذا كانت له أحكام مسبقة، بل يجب أن نذهب ونكتشف. العلم هنا محايد أمّا إذا أراد العلم أن يخدم اتّجاهًا معيّنًا فإنّه لن يكون محايدًا أبدًا وهو ليس بمحايد اليوم أبدًا. لقد ظفر الاستعمار بالعلم، ولو لم يكن لهم علم لما استطاعوا استعمار كلّ هذه البلدان وتخزين الأسلحة في العالم. هذا العدد الهائل من الحروب التي فرضها الغربيّون والأوربيّون ومن بعدهم الأمريكان على العالم وعلى الشعوب وكلّ هؤلاء البشر الذين قتلوا في هذا السبيل، من مناطق آسيا البعيدة إلى أفريقيا إلى أمريكا اللاتينيّة.. ماذا فعل هؤلاء ؟!... فعلوا كلّ ما فعلوه بالعلم. استخدم العلم لصالح الظلم ولخدمة الاستكبار ولخدمة الهيمنة والتسلّط، فلماذا لا يستخدم لصالح العدل؟ ولخدمة القيم؟ ولماذا لا يستخدم لصالح نشر رسالة الإسلام.. رسالة حريّة البشر وسعادتهم؟[٤٣].

ويدعو الإمام الأوساط العلميّة لأن تتبادل العلاقات العلميّة مع جامعات العالم ومراكز الأبحاث فيه، وليس هناك من حرج في طلب العلم

---

(٤٣) لقاء الإمام مع أساتذة جامعيّين في ٢٠١٢/٨/٢١.

والتتلمذ لدى أستاذ ما ويدعو أيضًا إلى عدم الاكتفاء بأن تتلقّى الأمّة العلم بل أن تقوم بإنتاجه، وكلّ ذلك انطلاقًا من أنّ العلم، بحسب الإمام، نور تهتدي به الإنسانيّة نحو الرقيّ والتقدّم والسلام، وأنّ نبراس العلم بيد الله، هذا كلام سبق الإسلام به كلّ أفكار وحضارات البشر وهذا كلام لم يقله أحد عن العلم من قبل وهو ما يبشّر به الإسلام سائر الأمم: العلم ملك الإنسانيّة ولا قيود على تناقله ولا حقّ لأحد باحتكاره، وهذه من أهمّ عناوين أخلاقيّات العلم الواجب أن تعيشها الإنسانيّة لا أن تستمتع بكتابتها أو تلاقيها في الأروقة العلميّة، ففي هذا الإطار يعبّر الإمام مباشرة بالقول:

إنّنا إذا لم ننظر للبحث العلميّ بجدّ وجب علينا البقاء لأعوام طويلة أخرى نستمدّ من المصادر الخارجيّة وننتظر أن يقوم شخص في طرف من أطراف العالم ببحث علميّ لننتفع نحن منه أو من الأعمال المنشورة على أساس بحوثه وما توصّل إليه، وندرسها هنا. ليس هذا من الصواب.. هذه تبعيّة، وهذه هي نزعة الترجمة وعدم الاستقلال في الشخصيّة العلميّة بالنسبة للبلد وجامعاته. جامعات البلد والبيئة العلميّة في البلاد إلى جانب حفاظها على العلاقات العلميّة مع العالم، لا تتحرّج أبدًا من التبادل العلميّ والأخذ والانتقاء العلميّ. قلت مرارًا إنّنا لا نشعر بالعار من التتلمذ وطلب العلم.. إذ كان هناك أستاذ فإنّنا نتتلمذ على يديه، لكنّنا نشعر بالعار من أن نبقى تلاميذ دائمًا وفي كلّ المجالات.. هذا غير ممكن. إنّها منقصة بالنسبة لمنظومة علميّة أن تكون ضعيفة في التحقيق والبحث العلميّ الذي يعدّ مصدر النماء العلميّ. إنّما يجب أن تستطيع الاعتماد على نفسها من الناحية العلميّة وطبعًا لها أن تستفيد من الآخرين ويكون لها تبادلها وتعاطيها مع الآخرين، وعندئذٍ ستكتسب مكانتها اللائقة في التبادلات العلميّة في العالم. حين تكون هذه المنظومة معتمدة على علومها وبحوثها العلميّة وأدائها العلميّ، فإنّ هذا سيترك تأثيراته في العالم، وفي حالات التواصل والتبادل العلميّ.. كان هذا تأكيد مرّة أخرى على أهميّة البحث العلميّ وطرح نقاش جيّد حول نظرة الإسلام والدين للعلم وكون العلم نورًا وأنّ نبراس العلم بيد الله... هذه موضوعات جيّدة. يخطئ

من يتصوّر أنّه حين يكون في البيئات الأجنبيّة –الأوروبيّة والأميركيّة- فعليه تكرار كلامهم الذي يطرحونه منذ مئة أو مئتي عام وإلى اليوم- ويعيده عليهم.. ليس بالكلام المطلوب هناك، فالإسلام له كلامه ورسالته وأفكاره[٤٤].

وفي إطار رسمه لمعالم الرؤية للعلم أي العلم النافع ذي الأثر الفاعل لوقف معاناة الأمم وللمساهمة في نهوضها وتكاملها مع سائر مكوّنات الكون، يستدرك الإمام في أنّ الحداثة والإبداع ينبغي ألّا تقودا إلى العبث والعشوائيّة في عمل العلم، وينصح بعدم الدخول إلى ميدان العلوم الإنسانيّة دون الأسس الإيمانيّة والأخلاقيّة اللازمة، حتّى لا نكون مستهلكين لما يرميه الغرب لنا دون ضوابط قيميّة، فيعبّر في نفس الخطبة:

إنّنا لا نوصي أحدًا بالتورّط في الفوضى العلميّة، والذين لا يتمتّعون برصيد علميّ في أيّ مجال، إذا ما أرادوا أن يحقّقوا الإبداع حسب ظنّهم، فإنّهم سيتورّطون في اللغو العلميّ، هذا ما نلاحظه على صعيد عدد من العلوم الإنسانيّة والمعارف الدينيّة، فهناك من الجهلة من اقتحموا الساحة دون أن يتمتّعوا برصيد علميّ كافٍ ويتحدّثون، ويتصوّرون بأنّهم يحقّقون الإبداع، وما هو من الإبداع في شيء، بل إنّه فوضويّة. لذلك لا أنصح بذلك على صعيد القضايا العلميّة. فلا بدّ من كسب العلم، وعلينا أن لا نتحوّل إلى مستهلكين للنتاجات العلميّة التي قدّمها الآخرون. لا بدّ من إنتاج العلم بالمعنى الحقيقيّ لمفهوم الإنتاج، طبعًا لهذا العمل، منهجيّته وضوابطه. المهمّ هو أن تحيى روح الإبداع العلميّ وأيضًا فعليهم أن يضعوا يدًا بيد للرقيّ بالمستوى العلميّ للبلد[٤٥].

إنّ أحد أسباب الفوضى العلميّة كانت نظرة الغرب إلى العلم كأداة قهر، ونظرة الفرد للعلم كوسيلة ارتزاق ومنفعة شخصيّة يحقّقها في إطار سعيه للأمان الاجتماعيّ فقط، وهذا من شأنه أن يقتل روح التوثّب وروح الأمل ويقطع سبيل الإبداع للباحث ويغرقه في روتين الحياة اليوميّة الخالية

---

(٤٤) كلمته في لقائه أساتذة جامعيين في ١/١٠/٢٠٠٧.

(٤٥) كلمته في لقاء أساتذة جامعيين ١/١/٢٠٠٧

من الإثارة والحافزيّة التي يشترطها تقدّم العلم. كما يعلّق الأهميّة البالغة على إعادة قراءة بعض الميادين في العلوم الروحيّة وتحديدًا منها التي تحقر الإنسان وتنأى بالبعد الروحيّ لديه وتنطلق من الفلسفات المادّيّة في اتّجاه الأخذ بها نحو السموّ والأمان والسعادة وأنّ الإنسان خليفة الله تعالى على الأرض وبالتالي فلا إمكانيّة للعلم الحقيقيّ إلّا أن يؤدّي إلى خير الباحث فيه وإلى خير ومنفعة الإنسانيّة جمعاء، فيقول في هذا الإطار:

الكثير من قضايا العلوم الإنسانيّة تبنى على فلسفات مادّيّة، وعلى فلسفات تنظر للإنسان على أنّه حيوان، وعلى عدم مسؤوليّة الإنسان قبال الله تعالى، وعلى عدم الاكتراث للنظرة المعنويّة للإنسان والعالم. فإذا عمدنا إلى هذه العلوم الإنسانيّة وترجمناها، وأخذنا ما قاله الغربيّون وكتبوه كما هو ودرسناه لشبابنا، نكون في الواقع قد نقلنا لشبابنا مفاهيم الشكّ والارتياب واللاإيمان بالمباني الإلهيّة والإسلاميّة والقيم الذاتيّة على شكل موادّ دراسته[٤٦].

ولقد وسّع الإمام أطر الدفاع عن أخلاقيّات العلم لتطال مواجهة الانحراف الفكريّ لمواجهة مظاهر الحرب الناعمة والتي كثيرًا ما نبّه إلى مخاطرها ونبّه إلى ضرورة التصدّي لها من جذورها معتبرًا أنّ مواجهة هذا الانحراف إنّما تتمّ بهدف الدفاع عن الإنسانيّة وأنّ كلّ مشاريع الحرب الناعمة هي من منظور الإمام نتاجات مخالفة للفطرة الإنسانيّة ومعادية للإنسانيّة. وعليه، فلا بدّ من مواجهتها وإعلان النفير لمواجهتها، محمّلًا مسؤوليّة التخاذل إلى كلّ من له سلطة أو تأثير من سلطات حكوميّة ودينيّة، إذ من غير المعقول أن ننظر إلى البنيان يحترق ونحن نلهو وكأنّ الأمر لا يعنينا. وبالتالي، فإنّ الرؤية المتكاملة للإمام لأهداف العلم ودوره وأيضًا لأخلاقيّاته تستوجب كلّ اليقظة لما يجري من استعمالات سيّئة للعلم خارج حدوده بمظاهره المتعدّدة من غزو ثقافيّ ومحاولات استبدال الهويّة الوطنيّة وشيطنة النموذج وهتك المقدّس والحضور لمقاومة هذه المحاولات

---

(٤٦) كلمته في لقائه أساتذة جامعيين في ٢٠٠٩/٨/٣٠.

التي بدأت منذ نشأ الاستعمار ولا زالت تتحرّك بأقنعة مختلفة كان آخرها مشروع الحرب الناعمة وهو كما نعلم جميعًا مشروع متكامل يستهدف كلّ مفاصل الأمّة ويصوّب نحو الأجيال الناشئة فيها، كما أنّ التأكيد على ضرورة المواجهة إنّما هو التزام بالأخلاق والقيم في معناها الواسع كما أنّ إصرار المستعمر الغربيّ على استكمال هجومه الخبيث على الأمّة هو خروج عن عناوين قيميّة وضعها سابقًا وهو استعمال سلاح العلم خارج أطر أخلاقيّات العلم التي طالما تشدق بها نظريًّا، وقد عبّر الإمام عن خطورة ذلك، مذكّرًا بأساليب المستعمر القديمة القائمة على سلب دفاعات الأمّة من فكر وعقيدة وإيمان وتاريخ، والتاريخ في هذه المحاولات يعيد نفسه ولكن بمتغيّر وحيد قائم على تطوّر التقنيّة ومعتمد على سلاح العلم الذي يريده الغرب متفلّتًا من كلّ عقال فقال صراحة في ذلك:

إنّ مقولة الثقافة لا يمكن مقارنتها بشيء آخر من حيث تأثيرها على مستقبل بلد أو أمّة، والهمّ الثقافي نابع من القلق حيال إنسانيّة الإنسان وحيال الأهداف الإنسانيّة السامية، وحيال تلك الأشياء والمقاصد التي نريد بلوغها في الحقيقة، والتي نسعى ونعيش من أجلها. وبالتالي، فإنّنا لو افترضنا أنّ نتاجًا ثقافيًّا غير صحيح ينتشر في بلدٍ ما- كالفكر غير الصحيح، والأخلاق غير السويّة، والسلوك غير المناسب، والوسائل الثقافيّة غير الموضوعيّة، والإعلام غير السليم، والكتاب غير المفيد، والأساليب الفنيّة غير اللائقة- والتي من شأنها المساس بالعقائد وإضعافها عن طريق الخرافات والأفكار والأساليب غير الصحيحة المنحرفة، فلا بدّ وأن ننظر إلى هذا النتاج أنّه نتاج معادٍ للإنسانيّة، وإنّه لا بدّ من مواجهته بهدف الدفاع عن الإنسانيّة[٤٧].

ويتابع الإمام في ذات السياق فيقول في الخطبة ذاتها:

إنّ واجبات الحكومة الإسلاميّة ألّا تتخلّى عن تسيس أموره- أي الشعب- وتتركه

---

(٤٧) لقاء الإمام بعنوان «المقولة الثقافيّة بين الرؤية المادّيّة والنظرة الإسلاميّة»، بحضور أعضاء المجلس الأعلى للثورة في ٢١ رمضان ١٤٢١.

يتخبّط في تلك السوق المضطربة أو حتّى غير المضطربة، وهي سوق الثقافة والعقيدة والأخلاق، أي أنّه لا بد للحكومة أن تشعر حيال أبناء الشعب بنفس ذلك الإحساس الذي يشعر به الإنسان إزاء عائلته من زوجة وأبناء. فما هو ردّ الفعل الذي سيبديه أحدكم إذا علم أنّ واحدًا من أبنائه قد تعرّض للانحراف أو الانحطاط الأخلاقيّ، أو أنّه على شفا الوقوع في ذلك، ممّا يعدّ أمرًا سيّئًا في نظر الفرد والمجتمع؟[٤٨].

ويعتبر الإمام أنّ الاستعمال البغيض للعلم والثقافة يساعد في مشاريع سلب الهويّة وقطع تواصل المستضعفين مع قيمهم وتاريخهم ويساهم في تضخيم الفعل الجرميّ الغربيّ ضدّ الممانعين ثقافيًّا وسياسيًّا، ويلجأ الغرب في كثيرٍ من الأحيان إلى أشكال متعدّدة من الحرب الناعمة لإسقاط المستضعفين واستسهال السيطرة عليهم والإطباق على مصيرهم، فيحدّثنا التاريخ عن أنّ المستعمرين الأوروبيّين عندما قصدوا احتلال آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينيّة أرسلوا البعثات المسيحيّة والحركات التبشيريّة قبل أن يرسلوا رجال السياسة والجيش إلى تلك البلاد، ولهذا فإنّ أوّل عمل يقوم به العدوّ سلب ثقافة الأمّة التي هي بمثابة الدفاعات الأساسيّة عنها.

كما دعا الإمام إلى الحداثة والإبداع في العلم وتلافي ترداد النصوص الأجنبيّة وكسر صنميتها، على أن يقترن الإبداع بهدى الإيمان والتوجّهات السليمة والمعرفة المستنيرة، وبهذين العنوانين يكون المضيّ لتحقيق النهضة العلميّة أمرًا ممكنًا وتكون المعاجز الكبرى والإنجازات الكبرى في انتظارنا كما يقول أمام أساتذة وطلبة جامعة أمير كبير:

ما هو واجب مبدئيّ للوسط العلميّ والجامعيّ هو تحقيق الحداثة على صعيد القضايا العلميّة. هذا هو المعنى الحقيقيّ لإنتاج العلم. إنتاج العلم لا يعني نقله فحسب، بل الإبداع العلميّ يحظى بالأهميّة بالدرجة الأولى وهو ما أقوله لأنّه يجب أن يتحوّل إلى ثقافة. هذه الحداثة العلميّة أو التجدّد الفكريّ لا ينحصر بالأساتذة

---

(٤٨) المصدر نفسه.

فحسب، بل مخاطبها هم الطلبة والوسط العلميّ عمومًا، هذا الإبداع العلميّ الذي يعبّر عنه في قاموس المعارف الإسلاميّة بالاجتهاد- بحاجة إلى أمرين: أحدهما الكفاءة العلميّة والآخر الشجاعة العلميّة، والكفاءة العلميّة أمر ضروريّ. حدّة الذكاء والرصيد العلميّ اللازم والسعي الدؤوب لكسب العلم، يعتبران من الأمور الضروريّة لبلوغ الكفاءة العلميّة، لكنّها لا تكفي.

إنّ العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والقضايا المتنوّعة الضروريّة لإدارة أيّ مجتمع وأيّ بلدٍ بأسلوب علميّ كلّها بحاجة للابتكار والحداثة العلميّة، أي الاجتهاد. ما يلاحظ في أوساطنا العلميّة واعتبره من أكبر العيوب هو أنّنا نردّد الكتب والنصوص الأجنبيّة وندرسها ونحفظها ونتعلّمها ونعلّمها على طول عشرات السنين، لكنّنا لا نجد في أنفسنا القدرة على التساؤل وتوجيه الإشكاليّات! ينبغي طبعًا دراسة النصوص العلميّة وكسب العلم من أيٍّ كان، لكنّ العلم لا بدّ أن يقترن بروح قويّة وثابتة وكفاءة تتمتّع بالقابليّة على التقدّم بالعلم إلى الأمام ليتسنّى له المضيّ قدمًا في طريق الرقيّ. هكذا جاءت النهضات العلميّة في العالم[٤٩].

مسؤوليّة العاملين في التربية تجاه أخلاقيّات العلم

يؤمن الإمام الخامنئي أنّ تميّز الإسلام بالنظر إلى العلم والتمسّك الواقعيّ بأخلاقيّات العلم يستلزم شروطًا للحفاظ عليها ولتطويرها، ومسؤوليّات تطويرها تنطلق أوّلًا من الميدان التربويّ، من الصفوف الأساسيّة الأولى وصولًا إلى مرحلة التخرّج من الجامعة، فمن التربية يتمّ بثّ القيم في قلوب الأطفال ويجري تطويرها وتعميق الالتزام بها كلّما ارتقى الطالب في دراسته، ويولي الإمام عناية خاصّة للمسألة التربويّة التي توصل طلّابًا وباحثين يحملون مسبقًا أفكارًا نورانيّة عن العلم وأهداف العلم نحو إنسانيّة الإنسان أوّلًا وآخرًا، فنراه يحمّل الأساتذة مسؤوليّة زرع الثقة

(٤٩) كلمته في أساتذة وطلاب جامعة أمير كبير في ٢٠٠١/٢/٢٧.

والأمل بالخصال الوطنيّة والكنوز الثقافيّة وهو ما استمرّ يطلق عليه عنوان الثقة الوطنيّة بالذات. كما يحثّ الإمام على زرع الطهارة وصفاء النفس كعاملين مؤثّرين للجميع: فإذا كان الأستاذ حائزًا على شروط الروح النقيّة والطاهرة فسينير أجواء قاعة المحاضرات، ويربط الإمام بين نورانيّة القاعة وقلوب المتعلّمين وبين توجيه الإمام في الاتّجاه السليم، بمعنى إذا كان النور المعنويّ موجودًا في مكان التدريس فسيؤثّر حتمًا في قيادة العلم ضمن الضوابط والأخلاقيّات اللازمة التي تحرسه في الاتّجاه الصحيح، ويعبّر الإمام عن ذلك بالقول:

الطهارة وصفاء النفس حالة مهمّة للجميع، وضروريّة للجميع، ومؤثرة في حياة الجميع، لكنّني أعتقد أنّها أهمّ وأنفع وأكثر فائدة وربحًا للأساتذة والعلماء. أوّلًا لأنّكم الأساتذة حيث تؤثّر طباعكم وسلوككم في تكوين شخصيّة الشباب والطلبة أكثر ممّا يؤثّر كلامكم. هكذا هو الأمر غالبًا بحيث لو دفع كلامكم الشابّ باتّجاه معيّن، وسلوككم لم يكن بنفس ذلك الاتّجاه، فإنّ سلوككم وتصرّفاتكم هذه ستؤثّر في مخاطبيكم وطلّابكم ومتعلّميكم والشباب الذين يدرسون عندكم. هذا جانب من جوانب أهميّة نقاء النفس. إذا كان أستاذنا يتحلّى بالمعنويّات والروح النقيّة الطاهرة فسوف ينوّر أجواء الصفّ والدرس وفضاء قلوب المتعلّمين. هذا ما نحتاج إليه. إضافة إلى هذا أنتم علماء، وإذا رافق النور المعنويّ العلم فسوف يوضع العلم في الاتّجاه الصحيح.

هذه الآراء التي طرحتموها أيّها الأعزاء، والعقبات والمشكلات والمؤاخذات التي تلاحظ في الميادين المختلفة، وقد نبّهتم إلى بعضها، الكثير منها بسبب أنّ العلم لم يتحرّك في اتّجاهه الصحيح أي باتّجاه السنن الإلهيّة. نقاء النفس ونورها يساعد العالم على توجيه العلم في الاتّجاه الصحيح[٥٠].

ويدعو الإمام إلى تكريم المعلّم ورفع منزلته، نظرًا لدوره المفصليّ في صناعة الإنسان وهو المادّة الخامّ التي بيد المعلّم والتي يقلّبها ويصنعها

---

(٥٠) كلمة الإمام في أساتذة الجامعات ٢٠١٠/٩/٥.

كيف يشاء فيصفه الإمام بأنّه ليس جمادًا بل هو ذو قدرات هائلة خيّرة وشريرة في آنٍ، وذو مواهب تنير درب الإنسانيّة وتظلمها، فتكريم المعلّم يضفي الأهميّة على العلم الذي سوف ينتج وبالتأكيد أجيالًا صالحة تغيّر العالم نحو الأفضل كما أنّ اعتبار الإنسان وروحه مادّة لكسب العلم يعني أنّ العلم بدوره مادّة الروح والحياة للإنسان، وسينعكس الأمر على المزيد من تعزيز مكانة العلم واحترام ضوابطه وأخلاقيّاته، فيقول:

هناك عدّة أمور تضفي القيمة على المعلّم. ومن هذه الأمور أنّ المادّة التي في يد المعلّم ويريد بعمله ومساعيه أن يصنع منها نتيجة نهائيّة، هذه المادّة ليست مادّة لا روح لها، بل هي الإنسان. وهذا الأمر على جانب كبير من الأهميّة. تارة يأخذ الإنسان مادّة جامدة ويحوّلها بمساعيه وإبداعه وعرق جبينه وإنفاق ساعات طويلة من وقته إلى حصيلة ونتيجة مطلوبة، وهذا شيء قيم ومهمّ في محلّه، وتارة تكون هذه المادّة التي في أيدينا كائنًا إنسانيًّا بكلّ مواهبه وعواطفه ومشاعره وإمكانيّاته وقدراته الكثيرة المتوفّرة في الإنسان. هذا الحدث قد يكون غدًا شخصًا كالإمام الخميني الجليل، وقد يكون مصلحًا اجتماعيًّا، وقد يكون عالمًا بارزًا، وقد يكون إنسانًا صالحًا ساميًا. كلّ هذه المواهب موجودة في الأحداث والأطفال الذين يوضعون تحت تصرّف المعلّم. ونريد أن ننقل هذه المواهب الكامنة إلى الفعل. لاحظوا كم هذا العمل مهمّ. ومعظم خطابي هو لعامّة جماهيرنا ولشتّى شرائح المجتمع.. أعرفوا قدر المعلّم ومنزلته. وعلى المعلّم العزيز نفسه أن يشخّص بدقّة أهميّة مكانته ومسؤوليّته ومأموريّته، وأن يعرف قدر نفسه، وأن يعلم أنّ هذا العمل إذا تمّ بهمّة صحيحة وبنيّة سليمة وبقصد إلهيّ، وبسعي مناسب، فكم سيوفّر للمجتمع من قيمة فائضة. وهذه القيمة الفائضة ليست شيئًا عاديًّا دارجًا، بل هي شيء استثنائيّ. تربية إنسان سامٍ عالم قدير صالح.. لاحظوا كم هذه القضيّة مهمّة وكبيرة. من بين كلّ هؤلاء البشر الذين يوضعون تحت تصرّف المعلّمين، قد يكون هناك إنسان يغيّر العالم. وهذا الطفل إذا لم تجرِ تربيته بصورة صحيحة فقد يصبح هتلر أو جنكيز خان: هذه هي القضيّة هكذا تتبيّن أهميّة المعلّم، والقيمة

السامية لحركته ومساعيه وإخلاصه وتفكيره الصحيح وعمله الصائب.

والخطاب موجّه أيضًا لمنظومة التربية والتعليم ومؤسّساتها. فالمعلّمون يعملون حسب نظام هذه المؤسّسة، وحسب مقرّراتها وضوابطها، ويدرسون حسب برامجها. وبالتالي، فعلى عموم الناس وعلى المعلّمين أنفسهم وعلى مؤسّساتهم أن لا ينسوا مكانة المعلّم. المعلّم هو ذلك المنتج أو العامل أو اليد الماهرة التي تبدّل أسمى ثمرات الخلقة وأرقى المواد الخامّ إلى أسمى النتائج النهائيّة التي يمكن الاستفادة منها.

حسن، من حقّنا أن نقول إنّ تجمّعنا هنا مرّة واحدة في السنة هو من أجل إبداء حبّنا وشكرنا للمعلّمين. نريد أن نقول إنّنا نعرّف لكم أيّها المعلّمون هذه المرتبة السامية والمنزلة السامقة. إذا عمل المعلّم بصورة جيّدة وصحيحة وبتدبير وبإخلاص فنعتقد أنّ كلّ مشكلات المجتمع سوف تعالَج. ولا نريد أن نقول إنّه لا توجد خارج بيئة المدرسة عوامل تؤثّر في تربية أحداثنا، بلى، العوامل مؤثّرة، ووسائل الإعلام مؤثّرة، والمناخ الاجتماعيّ مؤثّر- هذه أمور لا شكّ فيها- ولكنّ الصانع الأصليّ واليد الماهرة الأصليّة التي تستطيع تشييد بناء متين بحيث لا تستطيع هذه العوامل المختلفة ترك تأثيرات جذريّة على هذه النتيجة والمحصّلة، هي يد المعلّم. هذه هي قيمة المعلّم.

أقولها لكم.. إنّ هذه القيمة تورث عند الله تعالى حسنات جمّة أي إنّكم حينما تجلسون في غرفة الدرس وفي مناخ التعليم وتواجهون هذا الحدث أو الطفل، فاعلموا أنّ كتّاب الأعمال والكرام الكاتبين الإلهيّين يسجّلون عملكم حسنات لحظة بلحظة. كم هو نافع أن يكون عمل الإنسان وحياته وشغله عبادة في كلّ لحظاته[٥١].

ثمّ يتحدّث الإمام وبمنتهى الوضوح عن مهنة التعليم وترقّيها عن غيرها من سائر المهن وسموّها مهما تطوّرت ونمت باعتبارها أمانة إلهيّة وكلامًا يصنع القلوب كأوعية للإيمان والمعارف والسلوكيّات، فيقول: «إنّ الكثير من المشاغل والمهن في البلاد لها بهارجها وبريقها ومظاهرها

(٥١) كلمة الإمام أمام حشد من المعلّمين في أنحاء البلاد ٢٠١٢/٥/٢.

المتنوّعة ومنزلتها جميعًا أدنى بكثير من منزلة التعليم ومهنة التعليم»[٥٢]، ثمّ يكمل وفي نفس الخطاب:

إنّ للمعلّم مسؤوليّة تتجاوز تعليم العلم وإنّما صناعة الوعاء أو الفؤاد الذي سينتقل إليه العلم، ونعني به تعليم الأخلاق والسلوك، والمعلّم نموذج لطلّابه ودائرة تأثيره عليهم كبيرة جدًّا فهو قدوة في كلامه ومواقفه وأفكاره وعواطفه وانتمائه[٥٣].

ويحكي الإمام قصصًا ومواقف لم ينساها الطلبة ألا وهي مواقف المعلّمين الشهداء الذين استشهدوا في جبهات الحقّ ضدّ الباطل، ومن ذلك يؤكّد الإمام مرّة جديدة أنّ أخلاق وسلوك المعلّم والطالب هي جزء أساسيّ لا ينفصل من أخلاقيّات العلم، وهو بذلك يريد أن يقول لنا: «إنّ فاقد الشيء لا يعطيه».

من هنا نفهم إصرار الإمام على إنجاح النموذج السلوكيّ للمعلّم، وذلك عندما يقول:

المعلّم يعلّم العلم، ويعلم التفكير، ويعلّم الأخلاق والسلوك. وتعليم الأخلاق والسلوك ليس من قبيل تعليم العلم بحيث يقرأ المرء الأفكار عن الكتب فقط. درس الأخلاق ممّا لا يمكن نقله عن طريق الكتب، فالسلوك مؤثّر أكثر من الكتب ومن اللسان. أي إنّكم في غرفة الصفّ وحين تكونون بين تلاميذ تدرسونهم بسلوككم. طبعًا يجب القول باللسان أيضًا، ويجب إسداء النصيحة، لكنّ السلوك له تأثير أعمق وأشمل. سلوك الإنسان يكشف عن صدق أقواله، هذا هو ما نقوله للمعلّمين. هؤلاء الأطفال أمانة في أيدي المعلّمين وينبغي التفطّن لهذا المعنى. إذا كان معلّمونا إن شاء الله في صدد أن يرفعوا الأطفال والأحداث بهذا الأسلوب- أي بالنظر لهذه العناصر الثلاثة- ويتقدّموا بهم إلى الأمام، فأتصوّر في ذلك سيكون له تأثيرات كبيرة في مستقبل المجتمع. طبعًا أنجزت بعد الثورة أعمال ومهام جيّدة على هذا الصعيد أي إنّ المعلّمين بالتزامهم وبتواجدهم في الأجواء الثوريّة- سواء في سنوات

---

(٥٢) كلمة الإمام في يوم المعلّم ٢٠١٤/٥/٧.

(٥٣) المصدر نفسه.

الدفاع المقدّس أو بعد- تركوا الكثير من التأثيرات. حينما أقرأ بعض الكتب حول المعلّمين أجد أن تأثير المعلّم الذي شارك في جبهات الدفاع المقدّس واستشهد على أفكار التلاميذ تأثير عميق[٥٤].

ويكفي المعلّمين فخرًا أن يتناول الإمام دورهم من زاوية أنّه رسول الإنسانيّة ومعلّم بني البشر رسول الله (ص) قد وصف مهمّته بمهمّة المعلم، فرسول الله (ص) هو معلّم ويترتّب منّا على ذلك كلّ التقدير والامتنان لدور المعلّم وخصوصًا المعلّم الرساليّ صاحب مشروع الربط بين العلم والأخلاق، وصاحب مشروع تكريس الأخلاق في عمل المعلّم، لتترسّخ أخلاقيّات العلم ولكي يعمل المعلّمون بهديها ليكون العلم آلة استثمار للإنسانيّة، أي ليكون العلم جزءًا من السرّ المستودع في الكون: رقيّ عند الإنسان ليحسن القيام بالدور المناط به: خليفة الله على الأرض، وبهذا المعنى يعبّر الإمام:

حينما يروى عن الرسول الأكرم (ص) قوله: إنّما بعثت معلّمًا، فهذا أرقى فخر أن يعتبر الرسول نفسه معلّمًا. مستويات التعليم ومضامينه تختلف طبعًا، بيد أنّ حقيقة التعليم واحدة، وهي مبعث فخر. هذا هو ما نعتقد به. نروم من خلاله هذا اللقاء أن نعرب عن احترامنا وتكريمنا للمعلّم. إنّنا مثقلون بأعباء منن المعلّم، سواءً بالنسبة لنا أو بالنسبة لأبنائنا وأعزّائنا والذين يهمّنا مستقبلهم. كلّ الناس يشتركون في هذه القضيّة وجميعنا تحت منن المعلّم[٥٥].

تطلّعات الإمام لمستقبل الإنسانيّة بالعلم

أراد الإمام من خلال مفهومه للعلم ولضوابط العلم أن ينحى به باتّجاه سعادة الإنسانيّة وإنهاء الظلم، وأن يستجيب لانفجار العلوم الحديثة لحاجة البشريّة للقيم الراقية من عدل وطهارة، فلم يوافق انحراف الغرب

---

(٥٤) المصدر نفسه.

(٥٥) كلمة الإمام مع آلاف المعلّمين بيوم المعلّم، ٢٠١٤/٥/٧.

المتمثّل بالانفصام بين الخطاب المنمّق عن العلم وقداسة أخلاقيّاته التي عددها وتفاخر بها أمام الملأ، وبين الوقائع المحزنة التي تكتب، تاريخًا مشينًا للغرب بدأ بالاستعمار وانتهى باستعمال القنابل النوويّة في اليابان ضدّ مدن آمنة مطمئنّة، ووصل به الأمر إلى تبرير حروبه الاستباقيّة التي تعطيه الحقّ، ومن خارج ما ابتدع من شرعيّة دوليّة، في ضرب أيّ بلدٍ آخر في العالم طالما أنّ مصالحه مهدّدة، وقد عبّر الإمام وبكلّ الوضوح عمّا يريده من العلم وعمّا تحتاجه البشريّة وإيران اليوم هي ضحيّة من ضحايا الاستخدام السيّء للعلم وللعبث بأخلاقيّاته عندما تمنع من حقّها في استخدام الطاقة النوويّة سلميًّا، ورغم ذلك ينظر بعين ثاقبة إلى مستقبل بعيد تستجيب فيه الإنسانيّة لفطرتها الهاتفة للحقّ والرافضة للباطل بأوجهه ويقترن معها العلم مع التقوى والورع، وتقود أخلاقيّات العلم إلى إنسان يعيش التكامل في ذاته والتكامل مع الكون والموجودات في حركتها، فيعبّر عن ذلك بالقول:

فكم كانت البشريّة ترجو أن يسود العدل والإنصاف والمساواة بين الناس، وتنتهي سطوة الظلم وتنقشع سحائبه عن شتّى أنماط الحياة، لكنّ ذلك الطموح بقي رهين الآمال ولم يجد فرصة تذكر لينعكس على أرض الواقع. ولطالما كانت البشريّة متعطّشة للمبادئ الإنسانيّة، المبادئ الثابتة التي لا تتغيّر بتغيّر الزمان والمكان.

إنّ العلم يتقدّم، وأساليب الحياة تتطوّر، والعلاقات الاجتماعيّة تتغيّر لكن الآمال الكبيرة التي تحملها البشريّة والمبادئ العظيمة التي تتطلّع نحوها تبقى ثابتة بالرغم من تغيّر الزمان والأوضاع والأحوال. فالبشريّة متعطّشة للطهارة والنقاء والصدق والعدل والإنصاف والحقيقة والأخوّة والاهتمام بالجانب المعنويّ، ومرتاعة ومنهكة من مظاهر التزوير والكذب والظلم و النفاق واستباحة الحقوق.

أحبّتي! عليكم بمرور الأيّام أن ترتقوا بمستوى هذا التركيب المتجانس، فليكن العلم مقرونًا بالدين والورع والتقوى، وليكن جميع هذا مقرونًا بما تتلقّونه من تدريب وتمارين في الانضباط العسكريّ- الذي يعتبر أمرًا هامًّا لكلّ مؤسّسة

عسكريّة- واجعلوا من ذلك وحدة واحدة متماسكة تكسبكم المجتمع وتجعله قريبًا منكم وتعزّز أواصر العلاقة بينكم وبينه[٥٦].

فربط العلم بأخلاقيّاته على نحو أمين وصادق هو جزء من منظومة آراء يقدّمها الإمام كمشروع جديد للإنسانيّة، التي باتت تعيش العقم في هذا المجال، بحيث يستشعر الإنسان اليوم خواءً متزايدًا في العالم تجاه إنسانيّة الإنسان، تتراجع معه الطروحات التي تجمع ولا تفرّق وننتظرها لتكون البداية المتينة لعهد جديد للإنسان تمامًا كما أرادته الرسالات السماويّة، لقد تقدّم الإمام بجملة عناوين للنقاش الموضوعيّ وأراد توجيه إنسان اليوم إليها كسبيل خلاص من أزمات وتعقيدات تتزايد مع التقدّم التقنيّ ولا تبدو حضارة الغرب قادرة أو على قياس المسؤوليّة لحلّها، ومن هذه الطروحات: الديمقراطيّة الدينيّة، الحضارة على المعنويّات، كرامة الإنسان وامتزاج الدين بالحياة، ونحن على يقين أن عنجهيّة الغرب ومقياس المصالح المادّيّة والنفعيّة له لا يسمحان لهذه الأفكار بأن تأخذ حقّها في النقاش عنده وسيقوم كالعادة بتشويهها وتحميلها ما لا تقول زورًا، تمامًا على النحو الذي يتعاطى به مع الإسلام كدين رحمة وتسامح ودليل سعادة لروح الفرد وللمجتمع، ولقد سبقت التجربة مع الغرب في فرض قيمه وأفكاره كعناوين وحيدة على العالم اعتمادها وتبنّيها وإلّا واجه الحصار والعقوبات والتشويه الفكريّ والمعنويّ الظالم ومفهومه للإرهاب القائم على فكرة أنّ العنف هو فقط ينحصر ضدّ مصالح الغرب وإسرائيل واحد منها.. وقد عبّر الإمام عن هذه النقطة بالقول:

في مقابل عقم الغرب في تصدير أفكاره الجديدة- وبعد الأومانيّة والمدارس المعتمدة على الأومانيّة والفلسفات الناتجة عن الأومانيّة الغربيّة (Humanity) لم يكن للغرب ولادات فكريّة، ولم يطرح أفكارًا جديدة للبشريّة والحياة الإنسانيّة - كان للجمهوريّة الإسلاميّة ولادات فكريّة. لدينا كلام جديد لمشكلات الإنسان الروحيّة

---

(٥٦) كلمة الإمام في جامعة الإمام علي(ع) العسكريّة ٢٤/١١/٢٠٠١.

وقضاياه الاجتماعيّة والحكوميّة. والكلام الجديد لا يعني أنّه إذا قيل فسوف يقبله العالم كلّه، بل معناه أنّه سيوجد تيّار جديد في بحيرة الفكر البشريّ الهائلة، ويطلق أمواجًا. إنّنا نطرح في حيّز القضايا السياسيّة راهنًا فكرة الديمقراطيّة الدينيّة، وفي مجال القضايا الاجتماعيّة العامّة نقدّم فكرة «الحضارة على المعنويّة»، ونطرح في شتّى القضايا الأخرى فكرة كرامة الإنسان وفكرة «امتزاج الدين والحياة»[٥٧].

وهذه طروحات جديدة لم تكن في العالم من قبل أبدًا حتّى قبل حقبة النزعة المادّيّة والأمانيّة في الغرب وسيادة الأفكار العلمانيّة لم يكن الدين ممتزجًا بالحياة ومرافقًا لها.

ولا تعني مواجهة ثقافة الغرب التي تعاني في مهدها من تفكّك الأسرة وانتهاء الحياة الاجتماعيّة وبؤس الإنسان الروحيّ والعاطفيّ، أن نعارض التبادل العلميّ وكسب العلم منهم على الإطلاق وإنّما أراد الإمام ألّا نعيش ونموت تلاميذ عقيمي الإنتاج العلميّ والفكريّ أمامهم. وأمّا النقطة المفصليّة التي أرادة الإمام التنبيه لها، فهي الإيمان بالذات والثقة الفرديّة والوطنيّة مقابل الإيمان بالغرب والانقياد الأعمى والتسليم له وذلك كخطوة تأسيسيّة لا بدّ منها لإطلاق المواهب والقدرات، تمامًا وفق النموذج الذي تقدّمه الجمهوريّة الإسلاميّة لبلاد الأمة الإسلاميّة وللإنسانيّة ككلّ، فقال الإمام في ذلك:

ربّما سمعتم هذا منّي بكثرة، وهو أنّنا لا نعارض كسب العلم من الأجانب على الإطلاق. قلت مرارًا إنّنا لا نشعر بالعار من أن نكون تلامذة لأحدٍ نتعلّم منه، ولكنّنا نشعر بالعار من أن نتصوّر أنّ علينا أن ننظر دومًا نظرة احتياج وتطلّع وشعور بالدونيّة والحقارة إلى الآخرين وأفكارهم وأعمالهم. هذا شيء سيّء، ويجب استئصاله. يلاحظ المرء أنّنا نروم أحيانًا إيجاد خلق حسن وافشائه في المجتمع، فنسوق المثال في مدح ذلك الخلق الحسن من البلدان الغربيّة! ما الضرورة لذلك؟ لماذا نكرّس هذه الروح لدى مخاطبينا دومًا بأن تكون نظراتهم على الغرب دائمًا لتشخيص وتميّز

---

(٥٧) كلمة الإمام مع أساتذة الجامعات الإيرانيّة ٢٠١٢/٨/١٢.

الحسن من القبيح والممتاز من غير الممتاز؟ وهو ما ذكره بعض الأعزّاء الآن: الإيمان بالغرب والإيمان بالذات يقف في مقابل ذلك. وهذا لا يعني معاداة أحد، ولا يعني العصبيّة ضدّ منطقة جغرافيّة أو سياسيّة معيّنة. إنّما يعني أنّ الشعب أعرض عن قدراته ومواهبه ومنتجاته ولم يؤمن بها سيكون مصيره نفس المصير الذي منيت به البلدان التابعة، سواء بلادنا في العهد البهلويّ أو البلدان الأخرى التي نشاهدها(٥٨).

إنّ الفهم الشامل الذي قدّمه الإمام الخامنئي عن العلم وميادين التعامل مع أخلاقيّات العلم وأهداف العلم قد أنتج دورًا جديدًا ورائدًا للتعليم العالي عمومًا وللجامعة خصوصًا: جامعة تكسر قيود التقليد الأعمى للغرب وتعتزّ بهويّتها وبقدراتها على النهوض، وجامعة تبرّر وجودها من خلال تقديم الخدمة والمشورة للناس وللمجتمع.

وبالمقابل، لا زال الغرب يحاول العودة إلى البلاد التي طرد مذؤومًا مدحورا، متسلّحًا بسلاح العلم الذي يعتبره سلاح غلبة وقهر وسطوة ومتّخذًا من الجامعات أداة عبور ويتّهم كلّ من يعاديه بالاستبداد لكي تتحوّل سائر الأمم أداة طيّعة لمشاريعه فيطرح عنوان العولمة لكي تفتح كلّ الطرق أمام أفكار وثقافته، ويريد من الآخرين أن يعيدوا قراءات إيمانهم وأفكارهم ويشكّكوا بها وبالمقابل لا يسمح الغرب بهذه القراءات وبالتشكيك عندما يتعلّق الأمر به، ويمكن القول إنّ العديد من المتابعات السياسيّة على المستوى العالميّ قائمة على تبرير الغرب لأعماله وجرائمه بحقّ الإنسانيّة تحت عنوان المصلحة والأمن والسلام العالميّين: من غزو أفغانستان وغزو العراق أوّلًا وثانيًا والتدخّل لقلب الأنظمة المعادية للغرب وحماية الأنظمة الملكيّة العاتية والكاسرة لأبسط قواعد الحريّة والكرامة للإنسان... ولمواجهة كلّ ذلك ينطلق الإمام دومًا من احترام البعد الإنسانيّ للعلم ومن تعميم المعايير الإيجابيّة لأخلاقيّات العلم لتطال العالم بأسره دونما استنساب وتجاوز، وليؤكّد الإمام من خلال استعراض النموذج الظالم

---

(٥٨) كلمة الإمام مع المعلّمين وأساتذة الجامعات في محافظة خراسان الشماليّة ١١/ ١٠/ ٢٠١٢.

للغرب أنّنا نحن من نحترم أخلاقيّات العلم ودور العلم وأنّ الغرب مهما ادّعى الموضوعيّة في العلم ومهما كانت قوّة شعاراته فقد خرج عن هذه الحدود ووضع معايير ظالمة لها عنوانها مصلحته التي تسبق أيّ اعتبار آخر. وعليه، فإنّ المزيد من المآسي تنتظر البشريّة التي لن تعرف طريق خلاصها الواضح المعالم، وأن الإنسانيّة تخسر فرص تقدّمها المادّيّة والروحيّة وتخسر سعادتها واطمئنانها لمستقبلها الآمن والسالم من الحروب والفتن والمظالم، وأنّ أخلاقيّات العلم يجب أن تظهر في التعاطي السياسيّ وتعاطي أصحاب القرار مع كلّ ميادين العلم وفي جامعة تعمل بهذه المعايير وتعمل راسخة بإيمانها وبتوكّلها على الله جامعة مستقلّة غير تابعة، منسجمة مع ثقافة الأمّة ومواكبة لآمال ولطموحات وقد قال الإمام في ذلك:

كانت الجامعات منبهرة بالغرب ولم تتوفّر لديها الإرادة للسير نحو الإبداع. هذا لا يعني أنّهم لم تكن لديهم الرغبة في هذا الهدف إنّما كانت هي الثقافة السائدة في الجامعة. الثقافة السائدة كانت ثقافة التبعيّة التي كانت حكومة الشاه تعمل على إشاعتها بقوّة. حتّى أنّ أولئك الذين كانوا يدعون إلى التجديد في الوسط الجامعيّ لم يكونوا مستنيرين شعبيّين، بل كانوا يتميّزون بالبعد والانفصال عن الشعب! العديد منهم غادروا البلد بعد انتصار الثورة إلى البلدان الأوروبيّة وهم الآن يعيشون حياة الترف ويقضون أكثر أوقاتهم في المقاهي! هكذا كان وضع الجامعات، فجاءت الثورة وأنقذت الجامعة من هاتين الآفتين الكبيرتين، وجعلت منها جامعة مستقلّة، خلّاقة وأثارت فيها الثقة بالنفس، والتميّز بالقابليّة على إنتاج العلم والفكر المنسجم مع ثقافة الشعب بكافّة شرائحه ومواكبة طموحات الجماهير ومعتقداتها والعلاقات السائدة فيها، هذا ما يحظى بالأهميّة الفائقة.

طبعًا، ما زالت الأجهزة وأصحاب النظريّات في الغرب تردّد هذه الأحاديث على مدى عشرين عامًا. ومنذ بضعة سنين راح بعض المغفّلين الجهلة في الداخل أو المغرضين والمنبهرين راحوا يردّدون نفس تلك الأحاديث والأقوال بلهجات مختلفة، فالقضيّة المهمّة بالنسبة لنظام الديمقراطيّة الليبراليّة على الظاهر

وهي في الحقيقة ليست ديمقراطيّة ولا ليبيراليّة، بل هي نظام الاستكبار العالميّ- والشركات الصهيونيّة وأنصارها ليست إلّا ما يمكن لهم الاستثمار ومحاولة احتكار الهيمنة على المراكز الرئيسيّة للثروة العالميّة انطلاقًا من مراكز سلطتهم. هؤلاء يتّهمون الثورة بالاستبداد حتّى لا تقف عقبة في طريق استبدادهم.

يصفون العالم بأنّه قرية عالميّة كي يتولّوا هم القيمومة عليه، يطلقون شعار الوحدة الثقافيّة والعولمة الثقافيّة كي يفرضوا ثقافتهم على كافّة ثقافات العالم. إنّهم لا يسمحون لأحد بإثارة أدنى مؤاخذة على المستوى الدوليّ فيما يتعلّق بثقافتهم التي مهّدت السبيل للاستعمار، لكنّهم يريدون منكم تنتهجوا سبيل التعدّديّة والقراءات المتعدّدة فيما يتعلّق بإيمانكم وأفكاركم وثقافتكم، وأن تسمحوا لكلّ مقال ووجهة نظر أن تطرح حول إيمانكم وأفكاركم وثقافتكم وقواعدكم العقائديّة المتينة، لكنّهم لا يسمحون بمثل هذا فيما يخصّ شؤونهم! فلا يحقّ لأحد أن تكون له قراءات متعدّدة إزاء المصالح الأمريكيّة. فهم يدخلون بكلّ قوّة حيثما اقتضت مصالحهم. إذا ما سألوا عن المبنى في تدخّلهم يختلقون له أساسًا فكريًّا! قبل عدّة أيّام طرح في الكونغرس الأمريكيّ مشروع يسمح للرئيس الأمريكيّ باغتيال أيّ معارض في أيّة نقطة من العالم! وإذا ما واجهوا استفسارًا عن السبب فإنّهم يختلقون أدلّة لتبرير مصالح أمريكا! ويريدون منّا أن ننظر إلى تلك الأدلّة بنفس رؤيتهم ونتقبّلهم بكلّ كياننا وإيماننا. هل هناك غطرسة فوق هذه![٥٩].

وإنّ من أهمّ السبل لتصويب مسار العلم واحترام أخلاقيّاته أن يتعزّز المفهوم الحقيقيّ للعلم لدى الأمم المتأخّرة تقنيًّا عن الغرب، بمعنى أن تتكرّس النزعة المبدئيّة للعلم، والتي تقوم على أنّ العلم ملك للإنسانيّة وليس لأمّة دون أخرى وأنّ العلم لا يحتكر بالمعايير الإنسانيّة وبالمعايير الدينيّة. وأنّ العلم يمتّن الهويّة للأمم ويصنع معها الاقتدار والاستقلال ويعينها على تجاوز التبعيّة والغزو الثقافيّ وأن يقودنا العلم إلى أعلى مراتب التقنيّة والقدرة، لكي نوظّفها بالأطر الإنسانيّة تحت سقف التعاليم

---

(٥٩) كلمة الإمام مع طلبة وأساتذة جامعة أمير كبير ٢٠٠١/٢/٢٧.

السماويّة المقدّسة، والنزعة المبدئيّة تعني أيضًا اقتران العلم بالإيمان ومعرفة الله تعالى والتمسّك بالأخلاق، وأيضًا أن تنشأ أجيال وفق هذه المعايير. لا تشعر بالدونيّة أمام الغرب ولا تجترّ أفكاره، ولا تكون صدى واستنساخًا للغرب ولمجتمعاته التي وقعت في أسر التفلّت من أخلاقيّات العلم لصالح المكاسب والمصالح التوسعيّة والسيطرة والاستعمار، وقد دعا الإمام للنزعة المبدئيّة في العلم صراحة وأضحى مبتغاه في ذلك بالقول:

النزعة المبدئيّة في العلم معناها أن نسعى في المسائل العلميّة إلى القمم، وهذا ما يجب أن يتمخّض عن اهتمامكم بالدراسة وحسن الدراسة، وأقولها لكم إنّ الدراسة، وطلب العلم، والبحث العلميّ، والجدّ في الوظيفة الأصليّة للطالب الجامعيّ، يعدّ جهادًا وإذا اتّسع المجال إن شاء الله سيتّضح ذلك في تتمّة الحديث.

ويجب التحلّي بالنزعة المبدئيّة في مجال المعنويّة والأخلاق أيضًا. البيئة الجامعيّة وبسبب أنّها بيئة شبابيّة يجب أن تكون بيئة طاهرة نظيفة. البعض يتوهّم أنّ الجامعة هي البيئة التي لا ضرورة وليس من المحبّذ فيها كثيرًا التقيّد بالدين والالتزام بالتديّن والأخلاق. هذا ناجم عن البناء الخاطئ الذي أرسى في عهد الطاغوت وفي بداية ظهور الجامعات. أوجد الجامعات في ذلك الحين أشخاص لا يؤمنون بأصل الدين والمعنويّة والأخلاق، وكانوا والهين بالغرب ومخدوعين أن يخطّطوا ويعملوا في داخل البلاد بحيث يواصلوا هيمنتهم التي كانت لهم بنحوٍ من الأنحاء في العهد القاجاريّ، يواصلونها في العهد البهلويّ وبشكل مضاعف ولكن على نحوٍ آخر أكثر هدوء.. تربية وإعداد جيل مستنير متعلّم دارس يفكّر بطريقة غربيّة .. إنّه جيل إيرانيّ لكنّه يفكّر بطريقة فرنسيّة وبريطانيّة وأمريكيّة، وآماله آمال شخص أمريكيّ، وأعماله وممارسته أعمال فرد أمريكيّ أو بريطانيّ مع أنّ هويّته إيرانيّة ويسكن إيران. كانوا يسعون لتخريج مثل هذا الجيل[٦٠].

وحيث أثبتت الوقائع في بلدان الغرب عجز العلم بمفرده عن تحقيق السعادة والسلام، وزاد الأمر غرابة أنّه كلّما نما العلم في هذه البلدان

---

(٦٠) كلمة الإمام أمام أساتذة الجامعات ٢٠١٢/٨/٦.

ظهرت فيه أعراض فقدان الأمن وتفكّك الأسرة وطغيان العلاقات المادّيّة بين البشر، فقد كان طرح الإمام متميّزًا بطرح ركائز ثابتة وراسخة للالتزام بأخلاق العلم، أخلاق غير محكومة باعتبارات المصالح وصراع الأمم ولمن تكون السيادة في العالم، بل اعتبرها جزءًا لا يتجزّأ من صميم الأخلاق الإنسانيّة وحلقة لا تنفكّ عن حلقات الثقافة الإسلاميّة المترابطة وقد لمسنا في خطبه المتعدّدة هاجس الالتفات إلى مسألة الثقافة وقضايا الأمّة الثقافيّة، بكونها المدخل للاستقامة والانضباط والمشاركة والإرادة والكبرياء الوطنيّ والإحساس بالقوّة والعنفوان والإقدام وبدوره فالهمّ الثقافيّ للإمام نابع من إنسانيّة الإنسان ومنطلق من الأهداف الإنسانيّة السامية.

لقد اعتبر الإمام أنّ القيم العليا والسامية هي عناوين وشروط لازمة للتغيير ودعوة الإسلام إنّما تجاوزت كلّ المواقع والعراقيل بقوّة التزامها بهذه القيم، واعتبر أنّ الثقافة تتولّد من هذه الدعوة وتلازم الإنسان فتصبح مثل الهواء الذي يتنشقه فإن كان نقيًّا يجدّد القوى وينطلق قدمًا نحو الأمام وإن كان فاسدًا فسيفسد البدن وأحلامه وتطلّعاته للمستقبل الواعد، والعامل الثقافيّ المتين هو بالتالي ضمانة لبلوغ الرقيّ والتقدّم وأعلى المراتب بين الأمم، وكلّما تأسّس العلم على بنيان متين كلّما سمت أهدافه وتضاعفت قيمة العلم ونتائجه لصالح البشريّة لا لفئة أو أمّة من بين الأمم..

وردًّا على الغزو الثقافيّ الذي تتعرّض له الأمّة، يطرح الإمام التبادل العلميّ كجزء من مفهومه للتبادل الثقافيّ ويميّز بشدّة بين التبادل العلميّ والغزو العلميّ ويقول إنّ التبادل ترميم لثقافة الأمّة ومداركها تأخذ منه ما يكمل ثقافتها وتعدل منه ما تراه مناسبًا فيما الغزو الثقافيّ هجوم يستهدف اجتثاث أصول الثقافة الوطنيّة ويحصل عندما تضعف الأمّة مترافقًا بالانحراف بأوجه الحريّة الغربيّة والإرساليّات والأخلاق المرأة وغير ذلك،

ولذا، يدمج الإمام أخلاقيّات العلم بالأخلاق الإسلاميّة كجزء من منظومة الثقافة الإسلاميّة الراسخة والصلبة: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[61].

ويربط الإمام طموحات وغايات النظام الإسلاميّ بالعدل: «ليقوم الناس بالقسط»، وغاية بعث الأنبياء على وجه الأرض والأمل الحقيقيّ لوقف معاناة الإنسانيّة التي لازالت تعاني من فراغ العدالة بين بني الإنسان، ويعتبر أنّ من مظاهر العدالة والكمال للبشريّة العلم النافع والعمل الصالح، اللذين كلّما كانا أكثر نفعًا كان ثوابهما أكبر ويصل بحمله لهم العدالة إلى أن يطرح شعار العقد الحاليّ الذي نعيش فيه بعقد التقدّم والعدالة كعنوان يجب أن تتميّز به أهداف وطموحات الأمّة والأفراد والحكومة داخل إيران..

وحيث إنّ الإمام الخامنئي يعتبر أنّ البلد المهيمن والمستكبر سيفرض على البلد الخاضع آدابه وعاداته وأخلاقيّاته التي يرتضيها، وحيث إنّ الغرب لم ينزع عنه عدوانيّته للاستحواذ متذرّعًا بالمصالح السياسيّة والاقتصاديّة، ولا زال يفصل في مواقفه بين الأخلاق والعقائد وموقفه تجاه قضايا المال والسلطة، وحيث إنّ شريعة الغاب كامنة في نفوس قادة الغرب بلبوس الديمقراطيّة والحريّات وحقوق الإنسان فإنّ أحدًا لن يرحم أحدًا، ولن يتسامح البلد القويّ مع البلد الضعيف، فقد أكّد الإمام على متانة القيم المعنويّة للجمهوريّة الإسلاميّة ورفع شعارات الاستقلال ووقف التبعيّة والعدالة والحريّة والصحوة. واعتبر أنّ أعلى مراتب الجهاد تتمثّل بإعمار الأرض بالعلم والعمل وبإظهار بركاتها خدمة لأهل الأرض وأنّ الالتزام بالخطّ الإلهيّ المستقيم هو العدالة بعينها، وكمصداق لذلك نلفت إلى أنّ كلّ العقوبات الجائرة والحرب المفروضة على إيران التي فاقت بوقاحة

---

(٦١) سورة **التوبة**، الآية ١٠٩.

أصحابها وبامتدادها الزمنيّ تجارب الحضارات العاتية في التاريخ. لم تدفع إيران إلى ردّ فعل بنفس الطريقة الغربيّة بل اعتبرت أنّ العلم للأمّة وما هو متوفّر لها متاح لكلّ من يحتاجه ودعت إلى التشدّد في الالتزام بأخلاقيّات العلم والتي لم يقتصر ظهورها في مراكز الأبحاث ومختبرات التقنيّة وإنّما في الإدارة والفنّ والسينما والمسرح وأدبيّات التخاطب العلميّ والإعلاميّ، ودعت ولا تزال للاحتفاظ بكنوز المعرفة وآثار الحضارات العريقة وعملت على إغناء الثروات الثقافيّة والفكريّة لها ولسائر الأمم على السواء.

تقييم النموذج الذي رسمه الإمام

وفي الحديث عن مقوّمات التقدّم والارتقاء في سلّم التطوّر التقنيّ والمعرفيّ كنموذج حيّ ومؤثّر لأخلاقيّات العلم، يمكننا تبيان المعايير التي اعتمدت في الجمهوريّة كأساسات للنجاح وهي:

- الحفاظ على اندفاعة التعليم الجامعيّ والذي كرسّته الجمهوريّة بعد الثورة بوصفه حقًّا يتساوى فيه كلّ المواطنين.
- الحرص على رصيد المواهب العلميّة والقدرات المتميّزة والاهتمام بالنخب اهتمامًا بالغًا والسعي لتراكم الخبرات وفقًا لأولويّات تبدأ من منطق التحرّر المطلق لأشكال التبعيّة الأجنبيّة.
- النتائج العكسيّة التي قدّمها الحصار، حتّى يقول البعض بأنّ العقوبات والحصار كانا بحقّ الشرارة الأولى لانطلاقة الثورة العلميّة.
- اعتماد مبدأ التعليم والبحث الموجّه باتّجاه حاجيّات البلاد المباشرة.
- تحرير البرامج التعليميّة في الجامعات بعدما كانت مقيّدة في انطلاقتها لتصبّ في التبعيّة المباشرة للغرب ولمصلحته.

لقد ترجم الإمام الخامنئي بدقّة متناهية شعار مفجّر الثورة الإمام الخمينيّ «لا شرقيّة ولا غربيّة» في الجانب العلميّ وكان هذا الشعار انطلاقة للعلم والبحث العلميّ بالاعتماد على الذات وعدم تسليم زمام الأمور لا للشرق ولا للغرب وتمكّنت إيران من تخطّي آثار العقوبات بفضل رؤية الإمام وتصميمه لبلوغ الذرى بين الأمم المنتجة للعلم والمعرفة، وقد اعتبر الإمام أنّ إحراز التقدّم العلميّ متلازمًا مع أبعاده الأخلاقيّة إنّما هو سبيل للترويج للثورة الإسلاميّة في إيران وتبيان عظمة مبادئها وإخلاص قادتها وهو يقدّم صورة ناصعة عن نقاء الثورة ورساليّتها وأبعادها القيميّة والإنسانيّة.

ويذهب الرأي العامّ، وأهل السياسة في إيران لاعتبار أنّ الحصار إنّما بدأ أيّام التبعيّة للغرب وليس مع انطلاقة الثورة وكان تهديدًا استثمرته إيران ليصبح فرصة نهوض وتقدّم، ويعبّر أحد الباحثين عن ذلك في

طهران بالقول:

أنتم تعتقدون أنّ إيران محاصرة منذ الثورة الإسلاميّة على العكس من ذلك نحن نرى أنّنا كنّا محاصرين أيّام نظام الشاه السابق فكلّ شيء كان يأتينا من الغرب جاهزًا، كان هناك أكثر من أربعين ألف جنديّ وخبير أمريكيّ يشرفون على المؤسّسة العسكريّة، كنّا وقتها محاصرين من إنتاج التكنولوجيا وإن كنّا نستخدمها. كانت إيران وقتها مجرّد فقاعة، اليوم نحن ننتج التكنولوجيا. مفهوم الحصار عندنا يختلف عن مفهومكم له، الحصار هو أن تكون محتاجًا للآخر في كلّ شيء، أن لا تتمكّن من إنتاج العلم، أن تظلّ رهينة لما يعطونه لك، ذلك هو الحصار الذي كسرته الثورة الإسلاميّة. أمّا ما يسمّى بالحصار الذي يمارس علينا منذ الثورة إلى اليوم فهو ما دفعنا للوصول إلى ما نحن فيه، لذلك نحن لا نعتبره حصارًا[٦٢].

وطبعًا لا يروق للغرب وإسرائيل أن تتقدّم إيران علميًّا ولن يروق لهم أن تؤدّي نتائج العقوبات الظالمة عليها إلى نتائج عكسيّة حفّزت الأمّة بكلّ قطاعتها نحو الإبداع والتفوّق في مجالات العلوم والتكنولوجيا مثلما هي في أخلاقيّات العلم، ففي الغرب يمنع الاعتراف بنجاحات إيران، وإيران تزداد تألّقًا علميًّا ومعدل الإنتاج العلميّ يزيد أكثر من ١٤ مرّة على معدل النموّ العلميّ في سائر دول العالم، ونسبة المتعلّمين زادت عن ٩٠ ٪ من الشعب الإيرانيّ، وإيران هي من بين الدول العشرة الأوائل في علم الأحياء، وهي سبّاقة في مجال الصناعات البتروكيميائيّة والكهربائيّة والسيارات والصناعات الثقيلة كالسفن والطائرات المدنيّة والعسكريّة إلى الغوّاصات والصواريخ ومنشآت الطاقة النفطيّة والنوويّة. يوجد اليوم في إيران ٢٠٠٠ جامعة ومركز تعليم عالٍ وهي بوتيرتها العلميّة السريعة اليوم تحتلّ المرتبة السادسة عشرة عالميًّا ومن المتوقّع أن تصل إلى المرتبة الرابعة في العام ٢٠١٨ ، وفي إيران توجّه نحو الاكتفاء الذاتيّ الكامل ورؤية تحمل اسم رؤية

---

(٦٢) موقع التغيير الإخباريّ، علي البخيتي، ٢٠١٢/٨/١٤.

٢٠٢٥ وهي خطّة شاملة فيها ٢٢٤ مشروعًا علميًّا يجب إنجازها بحلول العام ٢٠٢٥ وتمّ وضعها من قبل الحكومة وبالأفق والتوجّه العلميّين للإمام الخامنئيّ ومن ضمن رؤيته للعلم ولأخلاقيّات العلم.

ويعبّر الإمام عن سعادته بهذا الموقع المتقدّم وينبّه في نفس الوقت إلى عدم الغفلة والوقوع في نشوة الانتصار ويدعو إلى مواصلة المسار وعدم التباطؤ وكسر كلّ الموانع التي تحول عن هذا التقدّم، ويؤكّد في نفس الوقت أنّ أساس كلّ هذه الحركات الإيجابيّة هو الاحترام المبدئيّ الذي يكنّه للعلم باعتباره أنّ الاسلام يقرّر أن"العلم قيمة ذاتيّة فضلًا عن كونه أداة نهوض واقتدار فيقول:

تحتلّ إيران حاليًّا المرتبة السادسة عشر في العالم علميًّا وفي هذه الأعوام التي تقارب الاثني عامًا تضاعف النمو في البلاد بالمقارنة إلى ما قبل هذه الأعوام الاثني عشر، ستّ عشر مرّة. هذه إحصائيّات تقريبيّة ومن مصادر ومراكز موثوقة. هذا التقدّم على جانب كبير من الأهميّة. هذه الحركة العلميّة المتنامية جعلت المراكز العلميّة المعتبرة في العالم تصرّح بأنّ نموّ العلم في إيران أكثر من المتوسّط العالميّ بثلاث عشرة مرّة. يجب أن نلاحظ هذا الواقع ونأخذه بنظر الاعتبار، فهو على جانب كبير من الأهميّة. لأنّنا نسمع هذه الحقائق بكثرة ونكرّرها بكثرة فقد غدت مألوفة وعاديّة بالنسبة لنا. هذه ليست الإحصائيّات الداخليّة، يرفعها شخص معيّن يقول شخص آخر: كلّا، هذه الإحصائيّات غير صحيحة. لا. إنّها المواقع والمراكز الرسميّة المعتبرة في العالم تصدر مثل هذه الأحكام والتقييمات، وهم ليسوا على وفاق وحسن علاقة معنا. إنّني لا أصدق أنّ السياسات المهيمنة في العالم تزهد في التدخّل في شؤون المراكز العلميّة، ولو استطاعوا لأنكروا، كما أنكروا الكثير من إنجازاتنا وتقدّمنا. لكنّهم في الوقت نفسه يعلنون مثل هذه الإحصائيّات والأرقام. تقول هذه المراكز العلميّة- وأقوالها منشورة في العالم وفي متناول أيدي الجميع- لو استمرّ هذا التقدّم العلميّ في إيران على نفس الوقت هذه المعدلات، فستصل إيران سنة ٢٠١٨ ميلاديّة، أي بعد خمسة أعوام، إلى المرتبة العلميّة الرابعة في العالم.

وهذه حقيقة مهمّة جدًّا. أي إنّ إيران ستكون بعد ثلاثة بلدان- هي أمريكا والصين وبريطانيا، هذه هي البلدان الثلاثة التي ذكروها- البلد الرابع من حيث المستوى والتقدّم العلميّ. هذا شيء على جانب كبير من الأهميّة طبعًا أنا لا أريد الادّعاء أنّ هذه الأرقام والإحصائيّات أرقام يمكن للمرء أن يقسّم عليها الإيمان مئة بالمئة، لا، لكن مسيرة جامعات البلاد ونموّها هي في مثل هذه الحدود راهنًا.

إذن، لأنّنا نعاني من التخلّف يجب أن نعمل ونجدّ. ثمّ إنّ قافلة العلم في العالم غير متوقّفة ولا تتوقّف، إنّما تسير بسرعة. إنّنا يجب لا أن نحافظ على مكانتها الراهنة وحسب، بل ينبغي أن نتقدّم، وهذا كلّه يحتاج إلى مساعٍ وجهاد. لذا، فإنّ كلمتنا الأولى لجامعات البلاد وعلمائها والنخبة في البلاد هو أن لا تسمحوا لهذه الحركة والمسيرة بالتباطؤ والمراوحة لا يسمحوا للحركة العلميّة في البلاد بالتوقّف. يجب أن لا يستطيع أيّ مانع الحيلولة دون أن تواصل جامعات البلاد رشدها وتقدّمها العلميّ.

حين نشدّد على العلم فليس ذلك لمجرّد الاحترام المبدئيّ الذي نكنّه للعلم- وهذه بحدّ ذاتها نقطة مهمّة فالإسلام يقرّر للعلم قيمة ذاتيّة- ولكن بالإضافة إلى هذه القيمة الذاتيّة فإنّ العلم اقتدار[٦٣].

وقد نجح النظام الذي عمل له الإمام وتجاوز العثرات والمكائد الغربيّة التي نصبت له منذ انطلاقة الثورة واليوم، ها هو يقدّم الأمثولة في القيادة الحكيمة وفي التطوّر والنهوض القائم على شرعة الله والتمسّك بمبادئ الإسلام، رغم حالات الاعتراض التي رافقته في الداخل والخارج، ويؤكّد التميّز في الديمقراطيّة والحريّات ومقارعة الظلم والاستكبار العالميّ، على نحو فريد، يتجاوز الخطط الحمراء التي وضعها الغرب وفرضها على الأمم الأخرى، فيعبّر باعتزاز نجاح التجربة بالقول:

لقد تشكّل نظام الجمهوريّة الإسلاميّة وسط طوفان الأحداث المتنوّعة. هذا كلام قيل مرارًا، ولكن يجب أن لا ننسى أنّ النظام الذي يرفع شعار تحقيق دين الله في

(٦٣) كلمة الإمام مع أساتذة الجامعات ٢٠١٣/١٠/١٥

حياة الناس والمجتمع والبلاد ويرفع شعار صياغة حياتنا الاجتماعيّة على أساس الشريعة والدين الإلهيّين والضوابط والقيم الإلهيّة، مثل هذا النظام كان أشبه بالمعجزة في عالم سار بسرعة طوال قرنين أو ثلاث قرون نحو المادّيّة وتشكّل على أساسها، وهذه المعجزة قد وقعت وحدثت فعلاً.

منذ بداية تشكيل النظام الإسلاميّ انطلقت حالات الاعتراض على اعتماده على الإسلام. لا نقل إنّ استقلال البلاد أو سياسة مقارعة النظام الاستكباريّ هي التي أدّت إلى حالات العداء- وهذه بدورها حقيقة من الحقائق- لكنّ مقارعة الاستكبار تتدفّق من صميم الإسلام وديمقراطيّتنا تنبع من كبد الإسلام. قيل مرارًا إنّنا حين نرفع شعار الديمقراطيّة الدينيّة فهذا لا يعني تركيبًا وجمعًا بين الديمقراطيّة بمفهوم معيّن والدين بمفهوم آخر. ليس الأمر كذلك. ديمقراطيّتنا تنبع من الدين، وقد عرض الإسلام هذا الطريق علينا، وبهداية الإسلام وصلنا إلى نظام الجمهوريّة الإسلاميّة(٦٤).

كما إنّ الخشية الغربيّة من نجاح النموذج إنّما تأتي في إطار الحؤول دون استيعاب الدولة المستضعفة له بحيث لن يقرّ للغرب قرار فيما لو اعتمدته، ولقد عمل الغرب وبشكل دؤوب لتشويه أسس ومرتكزات الثورة التي قالت عمليًّا ونظريًّا إنّه بالإمكان تحقيق نظام حكم إسلاميّ عصريّ يؤكّد القيم ويقدّم الحلّ لبؤس وعقم الإنسانيّة، وقد ورد في كلام للإمام رأي نقله عن أحد علماء الغرب حول عناوين الخشية الغربيّة من نجاح النموذج الإسلاميّ الإيرانيّ عن التقدّم بالقول:

شيئان إذا تناولهما المسلمون من يدٍ ليد وتعرّفت عليها الشعوب المسلمة فسوف تتحطّم جميع المحظورات الغربيّة - أي الأصول الغربيّة القطعيّة - وتصبح باطلاً وهي:

١. دستور الجمهوريّة الإسلاميّة وهو الدستور الذي يطرح أمام أنظار المسلمين في العالم نظام حكم جماهيريّ شعبيّ تقدّميّ عصريّ وفي نفس الوقت دينيّ.

(٦٤) كلمة الإمام في لقاء رئيس وأعضاء مجلس خبراء القيادة ٢٠١٣/١١/٢.

إنّه دستور يدلّ على أنّ بالإمكان تأسيس نظام حكم يتّصف بالحداثة والعصريّة والتقدّم ويكون دينيًا تمامًا.

٢. حصيلة النجاحات العلميّة والاقتصاديّة والعسكريّة والسياسيّة للجمهوريّة الإسلاميّة وهو ما توفّر للمسلمين لوجدوا أنّه أمر ممكن، ولو أنّ الشعوب الإسلاميّة اطّلعت على هذه الإمكانيّة، فسيكون من الصعب على الغرب التصدّي لموجة ثورات مقبلة[٦٥].

وانطلاقًا من ضرورة تبيان صحّة المنظومة التي قدّمها الإمام الخامنئيّ وتطابقها مع الوقائع، لحظنا في العديد من خطبه إصرارًا على إنجاز الخارطة العلميّة الشاملة للبلاد والتي كانت البوصلة العلميّة التي تحدّد طريق العبور إلى النهضة العلميّة في إطار خصائص العلم الثلاثة: العدالة، المعنويّات والعقلانيّة، وقد جرى في الخارطة درس السبل الواجب اعتمدها بالتوافق مع الموارد والإمكانات وتقسيم الأدوار وكتابة البرامج العلميّة ودعم الإبداعات وتعميمها لاستشراف مستقبل الأمّة بحيث شكّلت الخارطة مجموعة كاملة من المباني والأهداف والسياسات والاستراتيجيّات والتصوّرات الاستراتيجيّة للتحوّل العلميّ والإبداعيّ المبنيّ على قيم الإسلام، لتكون الخارطة جسر عبور لتحقيق رؤية الإمام للعلم وقيمه وأخلاقيّاته في سياق تحقيق كامل الأهداف المقدّسة للجمهوريّة، ونحن إنّما نستعرض بعضًا من أجزاء هذه الخارطة لنلمس قدسيّة العلم ومبانيه القيميّة العليا ولنلتمس الأسس الأخلاقيّة السامية التي انطلقت منها الخارطة وعلى نحو لا نجده في أيّ بلدٍ من بلدان العالم بأسره في هذه الرؤية الشموليّة الرابطة بين القيم والعلم والخارطة، وتجربة النهضة العلميّة الرائدة والناصعة إنّما نجحت وانطلقت بفضل متانة الأسس القيميّة والأخلاقيّة للعلم والتي لم نعهدها قبلًا في أيٍّ من الأروقة العلميّة في الغرب وفي كلّ البلدان الحاضنة للبحث العلميّ والمعتمدة على تطوّر

---

(٦٥) كلمة الإمام في خطبة الجمعة في طهران ٢٠١١/٢/٤.

العلم كأداة للنهوض والتطوّر، فالعلم الهادي القائم على محوريّة الأخلاق والقيم وإتاحة فرصة التعليم وخصوصًا للمستضعفين إنّما هي مقولات وضعت ونفذّت واحترمت مضامينها وأثبتت نجاحها في مشروع النهوض للجمهوريّة القائم على المسؤوليّة الفرديّة والجماعيّة أمام الله وأمام الإنسانيّة جمعاء، ونحن هنا أردنا أن نستعرض المباني القيميّة للخارطة العلميّة في الجمهوريّة ونوردها حرفيًّا لتضيء الدرب ولنشعر بالاعتزاز بها نموذجًا ودواءً لمشكلة القيم في الأمّة ولمشاكل التخلّف والتبعيّة والتخاذل أمام المستكبرين والطغاة.

المباني والقيم البنيويّة للخريطة العلميّة الشاملة للبلد

تقوم المباني القيميّة لنظام البلد العلميّ والتكنولوجيّ على أساس المباني النظريّة التي بنيت في مجموعة الوثائق التمهيديّة لخريطة البلد العلميّة الشاملة.

وهي بمثابة الروح الحاكمة على حركة البلد العلميّة ومحدّدةً لاتّجاهات النظام وأولويّاته وما يجب وما لا يجب في مجالات العلم، التربية، البحث والتكنولوجيا.

أهمّ تلك القيم هي عبارة عن:

١. حاكميّة الرؤية الإسلاميّة التوحيديّة على كلّ أبعاد العلم والتكنولوجيا.

٢. العلم الهادي والنزعة الأخرويّة للعلم والتكنولوجيا.

٣. محوريّة العدالة، تنمية الطاقات وحصول الجميع على العلم والتكنولوجيا وبالخصوص المستضعفين، تقوية الإبداع والابتكار وتحمّل الخطر في المجال العلميّ.

٤. الكرامة الإنسانيّة بالاعتماد على الفطرة الحقيقيّة، النزعة العقليّة وطلب العلم وحرمته.

٥. حريّة الفكر وتبادل الآراء والجدال الحسن.

٦. الالتفات إلى أصل العقلانيّة، تكريم العلم والعالم، القيمة الذاتيّة للعلم ولزوم الاحترام القانونيّ والأخلاقيّ للإبداعات الفكريّة والعلميّة والمكتسبات العلميّة البشريّة والاستفادة منها في سياق النظام القيميّ الإسلاميّ.

٧. العلم والتكنولوجيا المتكاملة، المكنة المدرّة للثروة والانسجام مع البيئة والسلامة المعنويّة والجسميّة والنفسيّة والاجتماعيّة لأفراد المجتمع.

٨. إيجاد التحوّل العلميّ البنيويّ خاصّة في مجال إعادة النظر والتخطيط في العلوم الإنسانيّة في سياق الرؤية الكونيّة الإسلاميّة.

٩. الارتباط الفعّال والملهم مع المحيط العالميّ وآليّات التنمية العلميّة والتكنولوجيا العالميّة.

١٠. محوريّة الأخلاق، تقديم المصالح العامّة على المنافع الفرديّة والجماعيّة، تقوية روحيّة التعاون والمشاركة وتحمّل المسؤوليّة عند أفراد المجتمع والمؤسّسات المرتبطة به.

كما أردنا أن نستعرض البند الثاني من الاستراتيجيّة الكلّيّة للخارطة العلميّة التي تتناول التأسيس القيميّ لنظرة للعلم ونتوسّع في تحويله إلى مقولة أصليّة للمجتمع وإلى خلق البيئة اللازمة لربط العلم بالدين ولاعتماد التثقيف العامّ والمطالعة وتكريم العلم في إطار جعل تناوله جزءًا من حركة الأمّة وحيّزًا من حياة الفرد باتّجاه المسار العامّ نحو أمّة عادلة مقتدرة ونموذجيّة.

الاستراتيجيّة الكلّيّة للخارطة العلميّة الشاملة للبلد

الالتفات إلى العلم وتحويله واحدًا من المقولات الأصليّة للمجتمع وخلق الأجواء المساعدة، والمزدهرة والمنتجة للعلم والتكنولوجيا المبنيّة على

التعاليم الإسلاميّة عن طريق تنمية وتجذير واستخدام العناصر الثقافيّة الاجتماعيّة والسياسيّة.

الاستراتيجيّات الوطنيّة

١. تقوية الرؤية الدينيّة لمقولة العلم والتعليم وجعله فريضة وترويج تعاليم القرآن الكريم والمعصومين- عليهم السلام- في التربية العلميّة والآداب التعليميّة والتعليم.

٢. تنمية ثقافة المطالعة والأبحاث والدراسات، تقوية روحيّة السؤال والبحث.

٣. التثقيف العامّ لأجل تقوية حركة البرمجة لإنتاج العلم المحلّيّ في المجتمع ورفع مستوى المعرفة العلميّة في الأبعاد المختلفة الثقافيّة والسياسيّة والاقتصاديّة.

٤. رفع المستوى والصلاحيّة المهنيّة والمرجعيّة العلميّة والاجتماعيّة للمعلّمين، الأساتذة، المحقّقين والمبتكرين.

٥. إشاعة أجواء إنتاج العلم والفكر من خلال دعم مواقع التفكير الحرّ والتنظير والمحافل الفكريّة والمناظرات العلميّة المبنيّة على الجدال الحسن وتقبّل النقد العلميّ.

٦. رفع مستوى مشاركة العلماء والمبدعين في مجال العلم والتكنولوجيا، في مجال القيام بالرسالة الاجتماعيّة وتعميق وتبليغ واحترام القيم الإسلاميّة والإيرانيّة الأصيلة والأخلاق المهنيّة والاستفادة من المخزونات الثقافيّة الغنيّة.

٧. الاستفادة من إمكانيّات وسائل الإعلام لدفع أهداف النظام العلميّ والتكنولوجيّ في البلد إلى الأمام.

وبنظرة إجماليّة، نؤكّد أنّه وبعد التطوّر العلميّ الهائل في الجمهوريّة والذي لم يعد محل التباس للعدوّ حتّى قبل الصديق، وبعد امتلاكها مقاليد

القوّة والنهوض والاقتدار، لم تخرج إيران نموذجها عمليًّا عن القيم والمبادئ والثوابت التي فرضتها مقتضيات أخلاقيّات العلم، وقد ترجمت امتلاكها القوّة والاقتدار بمزيد من العقلانيّة والحكمة وردّات الفعل المرتكزة على الأبعاد الإنسانيّة للإسلام الحنيف، وعلى الرغم من تظافر كلّ قوى الظلم والاستكبار الدوليّين وفي مقدّمها أمريكا ثمّ أوروبا والكيان الصهيونيّ يقف من خلف الطرفين، وكأنّ الغرب بتحالفاته لم يكن يريد رؤية الجمهوريّة أبدًا على خارطة العالم الدوليّة وكان يتمنّى زوال هذا النظام المرتكز على ديمقراطيّة الانتخابات والتي ميّزته عن معظم دول المنطقة من مملكات وإمارات كرتونيّة تهاوت سابقًا وستتهاوى مع أوّل ريح تهبّ صوبها، وقد تمسّكت الجمهوريّة بمبدأ عدم السعي لامتلاك الأسلحة الفتّاكة وأسلحة الدمار الشامل وأعلنت حرمة اقتناء واستخدام السلاح النوويّ ودعت بالمقابل إلى طاقة نوويّة سلميّة للجميع ولعدم امتلاك أي دولة للسلاح النوويّ، وأدرجت في برامجها دعم الشعوب المظلومة والمستضعفة، ولم تشرع في تنفيذ سياسات توسّع أو سيطرة وتعاطت باحترام حقيقيّ مع حقوق الشعوب الأخرى بالحريّة والكرامة ودعمت الدول المغلوبة اقتصاديًّا والمحتاجة إنسانيًّا، وفي داخل الجمهوريّة الإيرانيّة التزمت بكلّ مصاديق الشريعة الإسلاميّة التي دعت لتكريم ابن آدم، ورفضت كلّ أشكال الظلم والقهر وعملت بمبدأ المساواة الكاملة غير المنقوصة بين المواطنين ورفضت استعمال البشر كفئران تجارب على منتجاتها وأسلحتها، وعملت بمبدأ الشفافيّة أمام الناس وتوسّعت كثيرًا في مشاريع خدمة الناس ورفاهيّتهم من دون أقنعة أو تزيف، فكان العلم الذي امتلكته الجمهوريّة مع أخلاقيّاته نموذجًا لخدمة البشريّة وتخفيف آلامها وإيصالها إلى درب السلام والسعادة الروحيّة والمادّيّة.

وعليه، يمكن القول إنّ نموذج الإمام عن العلم وأهداف العلم قد نجح وشقّ طريقه إلى النموّ والتسارع، ليتحوّل إلى نموذج ناجح لسائر الأمم،

وقد كانت المفارقة أنّ هذا النجاح يأتي جوابًا على ظلم الغرب لإيران، وردّ فعل منطقيّ وعقلائيّ على الإجحاف الذي تعامل به الغرب مع إيران وطبعًا كلّ ذلك كان من خارج القانون الدوليّ.

إذن، نحن لا نتحدّث عن نموذج نظريّ يقدّمه الإمام ويدعو من خلاله لتعاطٍ جديد مع العلم ولاحترام مندرجات الأخلاقيّات فيه. إنّ نموذجه الذي انفرد به على الساحة الدوليّة كان هو أوّل من طبّقه بقوّة ودقّة ويدعو معه الأمم كلّها إلى اكتساب إيجابيّاته والعمل به، يقينًا منه بأنّ خلاص البشريّة لا يتمّ إلّا عبر احترام القيم ومندرجاتها في عمليّة النهوض الذي تسير به الأمم وتعمل له وأنّ مصيرًا بائسًا ينتظرها فيما لو تجاوزته.....

لقد كان الإمام في فرادته بقيادة إيران وبمشروع البناء وبالدعوة إلى قيم جديدة لأخلاقيّات العلم، القائمة على كرامة الإنسان، وعلى بناء الحضارة على المعنويّة وامتزاج الدين بالحياة مقابل طغيان النزعة المادّيّة النفعيّة في الغرب، مجدّدًا في هذا القرن الحادي والعشرين، أصاب في تقييمه الثاقب والدقيق للخطر الغربيّ على الأمّة وقدّم رؤية عالج فيها مشكلات الإنسانيّة وبات أملًا لها، وشكّل في مشروع الاستنهاض منعطفًا في تاريخ الأمّة وسيذكر التاريخ القيمة المميّزة للمشروع، وحيث باتت حاجة الأمّة له تتعاظم وتتعاظم في زمن المخاطر والفتن والغزوات الاستعماريّة التي نفذّها الغرب بالأصالة، وغزوات التخلّف والجاهليّة من داخل بلادنا باسم الدين بالوكالة عن الغرب.

تجاوز أخلاقيّات العلم: الطاقة النوويّة نموذجًا

إنّ علوم الذرّة هي من أكبر النتائج العلميّة التي تستطيع أن تكون ويجب أن تكون في خدمة رفاه شعوب العالم، وتقدّم وتنمية كلّ المجتمعات الإنسانيّة: سواء في علوم الطبّ أو الطاقة أو الصناعة، كما أنّ حقّ الاستفادة من هذه التقنيّة هو لجميع الشعوب لضمان الاستقرار والازدهار الاقتصاديّ

عندها، ولحفظ مكانتها الفُضلى للأجيال اللاحقة.

ويمثّل التعاطي الغربيّ مع إيران خرقًا فاضحًا وفاقعًا لأخلاقيّات العلم واستغلالًا سيّئًا للعلم وتقنيّاته، ولأصول التعاطي السياسيّ النموذجيّ بين الأمم، فالعرقلة الغربيّة للبرنامج العلميّ السلميّ للجمهوريّة الإسلاميّة تستهدف مصادرة حقّها للحصول على موارد طاقة مهمّة وتقنيّات صناعيّة وطبيّة، وتأتي للمفارقة من قبل دولة هي الولايات المتّحدة التي انفردت في التاريخ باستعمال السلاح النوويّ ضدّ مدن آمنة مطمئنة، وشكّلت فاجعة إنسانيّة ذات أبعاد غير مسبوقة في الأمن الإنسانيّ وتهديدًا لأصل الوجود البشريّ على كوكب الأرض.

إنّ احتكار الطاقة النوويّة ومنع معارف العلوم عن الآخرين هو تجاوز لكلّ أخلاقيّات العلم التي تتحرّك في اتّجاه إشاعة المعرفة والثقافة لصالح البشريّة ورفاهها ولوقف معاناتها، ويتحرّك الغرب من خلال مفاوضات تسير مترافقة مع عقوبات ظالمة ومعظمها هو من قبل الولايات المتّحدة وأوروبا من خارج القانون الدوليّ، تهدف إلى احتكار موارد الطاقة النوويّة ومنع الدولة الخارجة عن الإدارة الغربيّة: الأمريكيّة والأوروبيّة من امتلاك هذه الطاقة، في وقت تمعن فيه هذه الدول في إنتاج وتخزين الأسلحة النوويّة مع إصرارها على تطوير هذه الأسلحة وقدرتها التخريبيّة وصرف الأموال الطائلة لأجل ذلك في سباق تسلّح يضمن ما يسمّى بالردع المتبادل والقائم على أساس الدمار الشامل المتبادل والمؤكّد، وهو ليس في حقيقته إلّا الجنون المتبادل، وتمعن دول الغرب التي تتشدّق بعناوين الأمن والسلامة العالميّين في خرق المعاهدات الدوليّة وفي طليعتها معاهدة منع انتشار الأسلحة النوويّة، وتذهب بعيدًا في ضمان السلاح النوويّ عددًا وعدّةً لدى الكيان الصهيونيّ الغاصب لأرض فلسطين.

إنّ الكلام في هذا المضمار عن ضرورة التحلّي بأخلاقيّات العلم إنّما يستهدف العمل على وقف ومعالجة كلّ الأخطار الناتجة عن استخدام

السلاح النوويّ من قبل الغرب الذي ذهب بعيدًا في استخدامه كسلاح تهديد لكلّ من يخالفه الرأي في ساحة العالم وبالطبع من خارج القانون الدوليّ، ومعالجة كلّ الأخطار الناتجة عن إنتاج وتخزين الأسلحة النوويّة ونعني بهذه الأخطار أخطار التلوّث البيئيّ والأضرار الإشعاعيّة الهائلة والأخطاء التقنيّة المحتملة والتي تؤدّي إلى انفجارات نوويّة مدمّرة على شاكلة تشرنوبيل في الاتّحاد السوفياتيّ سابقًا، وبالتالي على كلّ رافعي عناوين الالتزام بأخلاقيّات العلم في الغرب أن يتعاونوا مع سائر الأمم لضبط الأساليب العمليّة لمواجهة هذه التهديدات ضدّ الإنسانيّة، لتكون أخلاقيّات العلم عناوين واقعيّة يجب أن تترجم في مسيرة الدفاع عن الأمان والاستقرار في العالم وحفظ الجنس البشريّ المهدّد بوجوده في الاستخدام المشين للطاقة النوويّة عسكريًّا من قبل الغرب، وطبعًا من دون أن نغفل الأسلحة الكيميائيّة والجرثوميّة في هذا العنوان، كما أنّ الإمعان في انتهاك الأخلاقيّات العلميّة على المستوى النوويّ، قد طال مؤسّسات الشرعيّة الدوليّة كمجلس الأمن والأمم المتّحدة والوكالة الدوليّة للطاقة الذريّة حيث يتصاعد الحديث يومًا بعد يوم على ضرورة إصلاح هيكليّة مجلس الأمن ومبدأ حقّ الفيتو المعطى لدول انتصرت في الحرب العالميّة الثانية دون أخرى حيث لم يجرؤ مجلس الأمن على محاكمة الولايات المتّحدة على جريمتها بحقّ اليابان، وبات إصرار أمريكا وبعض دول الغرب على امتلاك الأسلحة النوويّة أمرًا مسيئًا لهم ولتاريخهم فأميركا اليوم، صاحبة الألفين وخمسمئة رأس نوويّ حربيّ موجّهة إلى أهداف محدّدة في دول العالم، والتي انفردت باستخدام السلاح النوويّ لأهداف مدنيّة بحقّه رافقها سقوط مئتي ألف قتيل في هيروشيما وناكازاكي اليابانيّتين لأجل زرع الرعب والسيطرة من إراداتها في الساحة العالميّة، هي من يطالب بتنظيم السلاح النوويّ وهي من تعطي حقّ امتلاكه لإسرائيل وهي من تريد منعه عن خصومهما، وللعلم لم تقدّم أمريكا اعتذارًا للمجتمع الدوليّ على

جريمتها النوويّة ضدّ الإنسانيّة ولم تقدّم الوعد بعدم العودة إليها ثانيةً.

حتّى باتت الأصوات مرفوعة على الساحة الدوليّة تقول: إنّ الغرب ومعه مؤسّسات الشرعيّة الدوليّة التي أنشأها ورعاها لم تحقّق العدالة ولم تكن حكمًا نزيهًا في أيّ صراع، لا بل إنّ تاريخهم تاريخ الخروج عن المؤسّسات الدوليّة كغزو العراق وأفغانستان ودعم الكيان الصهيونيّ وتغطية مخطّطاته التوسّعيّة والإقصائيّة لأهل فلسطين. وعليه، فإنّ لم يكن هؤلاء دعاة سلام فليتركوا الأمم الأخرى وشأنها لتتدبّر أمرها وتعيش بأمنها وسلامها وتتنعّم بمقدّراتها دون وصاية أو استغلال دوليّين.

إنّ الولايات المتّحدة ومعها حلفاءها إنّما يقدّمون بهذا المشهد نموذجًا لمفهوم معيب عن السلام والأمن الدوليّين، وهو مفهوم تقول فيه رئيسة وزراء إسرائيل ربيبة الولايات المتّحدة عقب قرارات مجلس الأمن الشهيرة ٢٧٢ و ٣٣٨: «إنّ قرارات الأمم المتّحدة ليست مدافع مصوّبة تجاه إسرائيل»، وليس هذه العربدة إلّا نتاج العلم والثقافة المأخوذة باتّجاه السيطرة والغلبة وفتح الأسوار والأسواق بالقوّة، في تناقض مدوٍّ مع أخلاقيات العلم وأهدافه السلمية العليا والتي يقول فيها الإمام الخامنئي بالمقابل: إنّ العلم نبراس الله في الأرض وفي موضوع آخر يقول: إنّه قيمة ذاتيّة ونور إلهيّ وجد لأجل الإنسانيّة كلّها دون تمييز في الجنس أو اللون أو الانتماء.

وعليه، يتطلّب الالتزام بالحدود والضوابط الأخلاقيّة للعلم نزع السلاح النوويّ ووقف انتشاره وعلى الأمم التوحّد وإملاء إرادتها بوجه الدول النوويّة المتغطرسة، وعدم السماح للمجرمين بحقّ الإنسانيّة أن يقدّموا النموذج عن السلام، واحترام المعايير العلميّة الموحّدة لتطبّق على الجميع دون استثناء، ووقف سياسات الأحلاف العسكريّة والأهمّ إماطة اللثام عن الاتّفاقات النوويّة العسكريّة السرّيّة بين أمريكا والكيان الصهيونيّ، إذ إنّ التقنيّات العسكريّة وصناعتها السرّيّة كما رأينا سابقًا هي من العناوين البارزة لخرق مبادئ أخلاقيّات العلم التي تلحّ في جعل البحث العلميّ

واضحًا ومتاحًا للجميع وتحت أعين المنظّمات الدوليّة التي من المفترض أن تأخذ دورها بفاعليّة وأن تكون غير منحازة لأحد، كما أنّ من الواجب تطوير اتفاقيّة الحدّ من انتشار الأسلحة النوويّة بأن تشمل رقابتها على الترسانة النوويّة الصهيونيّة والزيارات الرقابيّة الصارمة والمشدّدة لمراكز الأبحاث فيها، وأن تتشكّل لجان رقابيّة دوليّة مع صلاحيّات واسعة من الأمم المتّحدة تتمثّل فيها كلّ الدول وتدار جماعيًّا لمراقبة إنتاج وانتشار سلاح الدمار الشامل والسلاح النوويّ، وأن تتبلور آليّات التفتيش لديها وتكون شفافيّة وعلميّة بحتة وأن تتعاون لحلّ مشاكل النفايات النوويّة وإيجاد حلول دوليّة لها في إطار التكامل والتعاون العلميّ البناء، وصولاً إلى إزالة العقيدة العسكريّة النوويّة من الدول حاملة السلاح النوويّ وتفعيل الثقافة التربويّة ضدّ اقتناء واستعمال السلاح النوويّ وألّا تكتفي الدول النوويّة بالعمل على منع انتشار السلاح النوويّ وإنّما أن ترتدّ إلى داخلها لوقف برنامج التسلّح والتدريب الهجوميّ ولتفكيك قدراتها النوويّة العسكريّة لنصل إلى عالم مسالم خالٍ من السلاح النوويّ، وإلى دول قد توقّفت عن تهديد العالم المخالف لإرادتها باستعماله، لأنّ الاستعمار واستغلال مقدّرات الأمم الأخرى مسألة قد انتهت؛ فالشعوب تتحلّى اليوم بالوعي والإرادة وهي لم تعد ترضى بالذلّ والخنوع، ولم تعد الأكاذيب والوعود الغربيّة تنطلي عليها، والسلام بات هو المصير المحتوم للإنسانيّة.

وحاليًّا لا يزال العالم عاجزًا عن حلّ معضلة انتشار السلاح النوويّ حيث تحاول العديد من الدول الخارجة عن إطار مجلس الأمن الحصول على أسلحة ذريّة وكذلك تحاول جماعات الإرهاب والتكفير وهي بالطبع لن تألو جهدًا للحصول على السلاح النوويّ فيما لو بانت فرصتها في الأفق، وقد أتت مؤتمرات الأمن النوويّ خطوة في هذا الاتّجاه لكنّها اتّسمت بالاستعراض فأهل القرار في أمريكا وسائر دول الغرب لن يسمحوا بنزع السلاح النوويّ لديهم والمعضلة الأكبر: من يقنع إسرائيل بالتخلّي عن

سلاحها النوويّ، كما أنّ الوصول إلى عالم خالٍ من الأسلحة النوويّة هو في الحقيقة ضرب من الخيال في ظلّ التوازنات الدوليّة القائمة، والمطلوب أوّلًا تغيير خارطة هذه التوازنات لفرض مثل هذا الواقع وتغيير نظام عمل الأمم المتّحدة ومجلس الأمن وتحديدًا إعادة النظر بمسألة حقّ الفيتو، والغريب هنا أنّ الدول الداعمة لعالم خالٍ من السلاح النوويّ هي الدول التي لا تملكه والتي لا أفق لها أن تمتلكه في المدى القريب.

ويمكن القول هنا إنّ أصل وجود السلاح النوويّ يعدّ استثمارًا بائسًا ومقيتًا للعلم، وهو تطوير لأدوات القتل وإفناء البشريّة من خلاله، في تعارض عميق مع أخلاقيّات العلم التي نظّر لها الغرب وتفاخر بها ولكنّه كان أوّل الخارقين لمبادئها، إلّا أنّه يظلّ يعمل لها ويجهد لتطبيقها لكن على الدول الأخرى لا عليه وتحديدًا على الدول غير الدائرة في فلكه ويغضّ النظر عن تجاوزات الكيان الصهيونيّ الفاضحة متجاهلًا كلّ ذلك بمعيار ضرورات الهيبة والنفوذ وتأكيد السيطرة العسكريّة على العالم والتي تستبطن سيطرة اقتصاديّة وثقافيّة استعماريّة، وهذا يبقى بيت القصيد في حركة السياسة الدوليّة، مع الأسف....

خلاصة

لقد عرضنا في الفصل الأوّل ماهيّة أخلاقيّات العلم والقيم الحاكمة للبحث العلميّ في الإطار المتعارف عليه في كافّة مراكز البحث ومؤسّسات التعليم العالي في العالم، وقدّمنا نموذج الأخلاقيّات الصحيحة السائدة في أروقة البحث، والتي يربطها البعض وعن غير وجه حقّ بمفاهيم الحريّة في إطارها الليبراليّ، ولعلّ هذا الإطلاق في مفهوم الحريّة أوصلنا إلى التحكّم. فالعبث في شكل وجنس المخلوق وجيناته، وأوصلنا إلى عالم قادر على تدمير نفسه بقرار منه، وتطوير الإنسان بات في عصرنا الحاضر أولى من تطوير العلم الذي أوصلنا إلى مرحلة غير مسبوقة من الرفاهيّة ومن

الراحة، وأوصلنا إلى القمر لكنّه لم يحلّ لنا المشكلة الإنسانيّة القابعة في جوهر الذات البشريّة، فلا زالت المجاعة تهدّد أممًا ونحن نتفرّج عليها ولا زال الطغيان الأميركيّ يفرض نفسه ويريد أحاديّة وجوده حتّى ولو كلّف ذلك حربًا عالميّة ثالثة، لا شكّ سيكون منشؤها الجشع والسيطرة وإيجاد الأسواق لتصدير المنتجات وإيجاد مصدر الطاقة والمواد الخامّ لتحريك الصناعة ومعالجة بطالة الدولة الصناعيّة، وها هي بلدان العالم الثالث تدفع ثمن الهستيريا المتوقّدة في الغرب نحو الصناعة والتقانة دون حدود وقيود وقد صار بعضها مكبًّا للنفايات التي تصدرها معامل الغرب، وهي باتت في أتون التلوّث النوويّ والكيمائيّ والبيئيّ الذي تسبّبه الصناعة الهوجاء في الغرب، وهي أسيرة لتوجّه خطير كان قد اتّخذه الغرب منذ ما قبل الحرب العالميّة الأولى في منع التحرّر لشعوبها وتأكيد غلبة القرار السياسيّ الغربيّ عليها.

من جهة أخرى، تبيّن لنا إنّ بعض التجارب العلميّة في الغرب تهدّد وجود الإنسان وحريّته وإرادته ولذلك، فلا حقّ للعلماء أينما وجدوا أن يستفردوا في مسارات ونوعيّة أبحاثهم ولا حريّة لهم في المضيّ بهذا الطريق دون ضوابط ومساءلة ، ذلك أنّ الآثار السلبيّة المترتّبة على أبحاثهم تطال المجتمعات وتصل إلى حدّ تهديد الوجود الإنسانّي وحريّته وبل مستقبله وأمر لهذا هو مصيريّ وهو مسؤوليّة الجميع: رأي عامّ، ساسة، مفكّرون، فلاسفة، منظّمات المجتمع المدنيّ [٦٦].

وعليه، إنّ القيود على حريّة البحث العلميّ أمر سيتوجّب النقاش فيه تمهيدًا للبتّ به، عصرنا هذا، فالعلم خاض معركة حريّته منذ القرن السادس عشر وما بعده وصولاً إلى اعتباره قيمة وحقًّا بحدّ ذاته، لكن اليوم نجد أنّ حريّة العلم قد أسيء استخدامها من خلال علماء ومختبرات ومشاريع دول عرضت وتعرّض الوجود الإنسانيّ للخطر وبات

---

(٦٦) ناهدة البقصمي، **الهندسة الوراثيّة والأخلاق**، سلسلة عالم المعرفة ١٧٤، الكويت، حزيران ١٩٩٣.

مصير الإنسانيّة ومستقبل الأجيال على المحكّ، ومن حقّ البشر أن يخافوا ويتحسّبوا لهذه الحريّة المتفلّتة من أيّ عقال.

ولقد كان التصدّع كبيرًا بين أفكار العلماء الذين كنّا قد ذكرناهم ولا سيّما كارل بوبر، حول وظيفة العلم السامية وفلسفته التي اندفعت في البحث عن الحقيقة وكسر هيبة الطبيعة من جهة، وبين أهل القرار في الغرب الذين غرقوا في توجيهات استعماريّة عنيفة هزأت الذات الإنسانيّة ولعبت بالغرائز وشحن الطوائف بالبعد الدينيّ والغرائزيّ واستخدمت أسلحة العنصريّة والتوسعيّة.

ومن جهة أخرى، فقد لاحظنا ثمّة إطنابًا في الحديث عن أدبيّات البحث العلميّ ومواصفات الباحث والقيود الأخلاقيّة لعمله، وتبيّن أنّ الغرب يحترم واقعًا العديد من هذه الأدبيّات والقيود ولكنّه ينتقي منها ما هو لمصلحة بحثه الذي يصبّ في مصلحة الدول المكوّنة للغرب ولأمنها القوميّ، وقد أجرى عدّة اتفاقيّات واتفاقيّات حول الموضوع عبر الأمم المتّحدة وسائر المنظّمات الأوروبيّة، وكتب كثيرًا عن سلامة العلاقة بين مراكز الأبحاث والمجتمع، وعلى وجه الخصوص كان يلتزم بالقيود والأخلاقيّات الفرديّة للبحث وللباحث محترمًا الكرامة الشخصيّة لمواطنيه فقط، ولكن عندما كان يقارب المصالح العليا لدوله كان يطيح بكلّ المعايير والأخلاقيّات اللازمة للبحث العلميّ ولأهداف العلم، ويسدل ستائر السريّة على تجاربه ويحتجز النتائج الاقتصاديّة منها ليحرم الدول النامية منها ويستعمل العسكريّة منها لقهر إرادة الأمم الأخرى في إطار مشروع السيادة والسيطرة لديه، محتكرًا العلم وحارمًا فرصة النهوض والتقدّم لسائر البشر. إنّها ازدواجيّة المعايير التي ينفّذها الغرب مرّة أخرى وتبتعد الأمم بسببها عن السلام والرفاه، ولكن هذه المرّة في إطار العلم وأهدافه وأخلاقيّاته....

كما برزت تيّارات متنوّعة في الغرب نادت بتوحّد المعارف وتعميم فائدتها والتمسّك بالبعد الروحيّ المحرّك للعلم ذلك ما اصطلح عليه بالدعوة إلى

صوفيّة المعرفة، ويماثلها في العالم الإسلاميّ دعوات إلى أسلمة المعرفة والتوازن بين المادّة الصماء والبعد الروحيّ القائم على تركيز محوريّة الإنسان في تكافله وتعاطفه مع أخيه الإنسان كأساس نبني عليه وهذا التلاقي إنّما يأتي في ذات اتّجاه الرؤية التي أطلقها الإمام الخامنئي.

وأمام البون الشاسع بين ما هو قائم في الغرب من أطر نظريّة لأخلاقيّات العلم وأهدافه الإنسانيّة السامية من جهة والوقائع العمليّة التي يمعن فيها الغرب بازدراء أهدافه هذه، ويتحرّك في سباق تسلّح وسباق تقنيّ للوصول إلى مرحلة التفوّق بالقتل أكثر من غيره وصولاً إلى مرحلة يخشى فيها العالم بأسره مصيره القائم في حال نشبت حروب نوويّة أو جرثوميّة أو كيمائيّة، فإنّنا ومن خلال شخص الإمام الخامنئي وطروحاته الأخلاقيّة المتقدّمة للعلم بتنا نتلمّس الحلّ، والحلّ هذا ليس جملاً أدبيّة مصفوفة ومنمقة وإنّما قائم على تجربة وأداء، تطوّرت معه إيران علميًّا وامتزج الدين بالعلم حيث – وللمفارقة - ردّت على العقوبات الظالمة عليها وعلى الحصار الخارج عن مؤسّسات الشرعيّة الدوليّة بالدعوة إلى تدمير أسلحة الدمار الشامل ووجّهت العلم في اتّجاه مصلحة البشر ورفاهيّتهم واقترحت في إطار الردّ على حرمانها من حقّها بامتلاك تقنيّات الطاقة النوويّة السلميّة بوضع كلّ ما تملك من علوم وخبرات نوويّة للدول التي تعاني من مشاكل الطاقة وبإطار السلام والأمان الدوليّين، وتبقى فرادة الطرح الإسلاميّ الذي قدّمه الإمام عن العلم وقيمة أخلاقيّاته قائمة على عناصر هي مفخرة نعتزّ بها ونقدّمها للعالم، سنعيد إيجازها وفق ما يلي:

١. العلم نور ونبراس العلم بيد الله تعالى.
٢. العلم هو العلم الهادي وهو شرف وسموّ إنسانيّ وبعد عن الهوى والهوس وباب نحو العدالة على الأرض.
٣. للعلم قيمة ذاتيّة عالية: معنويّة وروحيّة، مقرونة بالورع والتقوى، وعلى الأمم احترام الإبداعات العلميّة قانونيًّا وأخلاقيًّا.

٤. لا يستقيم العلم إلّا بعماد النورانّية في نفس طالب العلم وأستاذه.

٥. محوريّة العلم هي الإيمان والأخلاق وهما وحدة متكاملة لا تنفكّ عروتها، والعلم سلاح الإيمان يسير به في اتّجاه الحقّ والأمان والرفاه لإنسانيّة جمعاء.

٦. إنّ نقل وإنتاج العلوم والمعارف من مهام الأنبياء ويكفي المعلّمين والأساتذة شرفًا أن تقارب مهامهم مهام الأنبياء.

٧. العلم يبني بالإيمان بالذات قبل الإيمان بالغرب أو بسواه، ويبنى مقترنًا بالثقة بالكفاية والشجاعة لحامليه وطالبيه.

٨. العلم طريق الكرامة أي طريق للكفاية والنهوض والاقتدار.

٩. العلم متاح للجميع وخصوصًا للمستضعفين ولا يمكن احتكار العلم ولا لابتزاز الأمم الأخرى به.

١٠. العلم ملك الإنسانيّة جمعاء وعلى الأمم تبادل العلوم والمعارف لصالح البشريّة ككلّ.

١١. العلم عقلانيّ ومحايد في مرحلة الاكتشافات لكنّه عندما يساق به لخدمة مشاريع ودول فهو غير محايد وهو واقعًا غير محايد في العالم اليوم.

١٢. يجب الالتفات إلى الآثار الثقافيّة المدمّرة لسوء استعمال التقنيّات العلميّة.

١٣. البحث العلميّ بحث هادف موجّه لا فوضى فيه ولا هدر لموارد البشريّة.

إنّ رؤية الإمام الخامنئيّ المتينة المتكاملة لمنظومة الثقافة فالأخلاق والسلوك وما يتفرّع عنها بخصوص أخلاقيّات العلم تمثّل في حقيقة الأمر قبس نور قدّمه الإمام للإنسانيّة لتنير دربها الجامح بطموحات الموت والقتل المترافق مع ابتسامات الحريّة والديمقراطيّة، وهي التي ما انفكّت تخوض الحروب وتتسابق للتسلّح، والرؤية هي قيمة أخلاقيّة عالية

نطرحها كنموذج ليدرّس في مؤسّسات التعليم العالي في الغرب والشرق في إطار البحث عن سبيل نجاة يعصم الإنسانيّة من الدمار الشامل بأسلحة الإفناء المتبادل ولتتحقّق عمليًّا في سلوكيّات الأفراد والمجتمعات وهي سبق أن تحقّقت ونجحت في الجمهوريّة الإسلاميّة. وهذه الصورة المشرقة إنّما تؤكّد البعد الإنسانيّ للإسلام القائم على الرحمة والسلام والخير للفرد الذي يمثّل الخير لكلّ البشريّة، وهي تأتي نقيضًا لما يراه المجتمع الدوليّ من ممارسات القتل والإبادة باسم الإسلام على يد جماعات أمعنت التشويه في صورة الإسلام وأوصلت إلى ما عرف مؤخّرًا في الوسط الغربيّ بالإسلاموفوبيا بتنسيق بينها وبين المعادين أصلًا للإسلام في الغرب، والدرب لولوج هذه الرؤية إلى الإنسانيّة لن يكون سهلًا، فأجهزة الإعلام والتواصل في الغرب مدعومة من اللوبي الصهيونيّ في أوروبا وأمريكا وبتفهّم وقبول لدى حكومات هذه الدول، إنّما تقوم بتشويش هائل وتخوض حربًا دعائيّة مضلّلة ضدّ الجمهوريّة وإنجازاتها ويتعاطى معها الغرب كلّه بتسخيف واستعلاء وتحريض وإقامة أحلاف سياسيّة واقتصاديّة ضدّها ولكن أنّى لنور الشمس أن يحجب؟

إنّ الجهل المتعمّد من قبل الغرب للغنى الثقافيّ والروحيّ في الإسلام، والتعامي المقصود عن نجاحات النموذج المتمثّل بالجمهوريّة الإسلاميّة، هو إدانة لكلّ ثقافة الغرب وقيمة الانتقائيّة، التي لا تقبل بالآخر كشريك وإنّما كتابع فقط، والتي تعبّر أنّ ثمّة مركزيّة للعلم وقرار العلم عند الغرب وبالتالي مركزيّة في حقّ السيادة على العالم... ولن يكون قدر المستضعفين أن يتحوّلوا وقود صراعات تاريخيّة بين العلم والدين داخل الغرب وبين أهل الغرب أنفسهم وأن يستكينوا لواقع مفروض مفاده: لنا العلم إذن لنا الغلبة. وستظهر الأيّام والوقائع دونما شكّ ضلالهم وزيفهم وسيبقى نور الإسلام ناصعًا يسطع في فطرة الإنسان وأملًا وحيدًا وأخيرًا للمستضعفين. هذا الإسلام الذي يربّي المرء رابطًا بين السموّ العقديّ في فلسفة الوجود

مع دقائق أمور الحياة والعبادة، تمامًا على النحو الذي يربط به أخلاقيّات العلم بمنظومة السلوك والأخلاق والثقافة وصولًا إلى العقيدة... إنّها فرادة الإسلام الذي يسطع نوره أيضًا في عالم البحث العلميّ، وإنّها فرادة الإمام الخامنئي الذي أحسن حمل الشعلة وقدّم النموذج في جنبتيه القيميّة والعمليّة، وهي للحقّ درب نور تستشرف بها الإنسانيّة نجاتها من مخاطر الاستخدام السيّء للعلم وتكمل سموّها نحو عدالة وسلام ورفعة للذات والكرامة الإنسانيّتين.

فهرس المراجع

- العلّامة المجلسيّ، **بحار الأنوار** (بيروت: مؤسّسة الوفاء، الطبعة٢ المصحّحة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م).
- عبد الله زيعور، **الرؤية العلميّة لدى الإمام الخامنئي**، سلسلة أدبيات النهوض (بيروت: دار المعارف الحكمية، ٢٠١٢).
- Farell, R.P., Journal of the History of science society, 96(2) (2005).
- ممدوح عبد المجيد، «فعّاليّة استخدام استراتيجيّة مقترحة لتدريس العلوم»، المؤتمر العلميّ السابع للجمعيّة المصريّة للتربية العلميّة، (الإسماعيليّة، ٢٧-٣٠ أيلول ٢٠٠٣).
- دلال استيتية وتيسير صبحي، مجلة مركز البحوث التربوية، جامعة قطر، ١١ (٢١)، ٢٠٠٢.
- حمد الرشيد، المجلّة التربويّة، مجلّة النشر العلميّ، جامعة الكويت ١٤ (٥٦)، ٢٠٠٠.
- عبد الودود مكروم، القيم ومسؤوليّة المواطنة، دار الفكر العربيّ، القاهرة (٢٠٠٤).
- د. حاتم السعدي، القيم التربويّة من وجهة نظرة الفلسفة الإسلاميّة (مكتبة العتبة الحسينيّة المقدسة، موقع دار العراق).
- د. محمّد عفيفي، **أخلاقيّات العلم**، كتاب الهلال عدد ٥٩٧، (٢٠٠٦).
- دايفيد رزنيك، **أخلاقيّات العلم**، سلسلة عالم المعرفة ٣١٦ (الكويت: ٢٠٠٥).
- Mc Cormick, R.A. "how Brave A New World?" SCM Press LTD, England, 1981.
- مصطفى خوجلي، **التحدّيات الأخلاقيّة وسبل التعاطي معها**، كتاب القيم والتعليم (٣) (بيروت: الهيئة اللبنانيّة للعلوم التربويّة، ٢٠٠١).

- جون ماري بيلت، **عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة**، سلسلة عالم المعرفة ١٨٩ (الكويت: ١٩٩٤).
- خطبة بتاريخ ٢٠٠٦/١/١٩، مع أساتذة وطلبة جامعة الإمام الصادق (ع)، بعنوان «الجامعة ودورها في صناعة الثورات العلميّة والفكريّة».
- لقاء الإمام مع وزير العلوم وأساتذة جامعة طهران في ٢٠١٠/٣/٢١ بعنوان «العلم سلطان».
- كلمة الإمام الخامنئي في اللقاء مع أساتذة جامعة البلاد بتاريخ ٢٠٠٢/١١/١٣.
- كلمة الإمام الخامنئي في لفيف من النخبة العلميّة بتاريخ ٢٠٠٨/٩/٢٤.
- كلمة الإمام الخامنئي في لفيف من النخبة العلميّة بتاريخ ٢٠٠٨/٩/٢٤.
- كلمة الإمام مع أساتذة الجامعات في شهر رمضان ٢٠١١/٨/٢٤.
- خطبة للإمام بعنوان «العمل على رفع المستوى العلميّ لجامعات»، بحضور أساتذة جامعة فردوسي في ٢٠٠٧/٥/١٥.
- خطاب الملتقى الأوّل للأفكار الاستراتيجيّة بحضور جمع من النخب والمفكّرين بتاريخ ٢٠١٠/١٢/١.
- خطبة للإمام بعنوان «التقدّم العلميّ والنموّ في ميدان العلم»، بحضور نخب علميّة وأساتذة جامعات، تاريخ ٢٠٠٨/٩/٢٤.
- خطبة للإمام بعنوان «عناصر تقدّم العلم والإنتاجس، بحضور عمال نموذجيّين من إيران، بتاريخ ٢٠١٠/٤/٢٨.
- خطبة للإمام بعنوان «التقدّم العلميّ والنموّ في ميدان العلم»، بحضور نخب علميّة وأساتذة جامعات، تاريخ ٢٠٠٨/٩/٢٤.
- خطبة الإمام بعنان «عقد التقدّم والعدالة»، بحضور أهالي مشهد وزوّار
- المرقد الطاهر للإمام الرضا (ع)، بتاريخ ٢٠٠٩/٣/٣١.
- كلمة الإمام أمام النخب العلميّة بتاريخ ٢٠١٤/٨/١٦.
- كلمة الإمام في لقائه مع مجلس خبراء القيادة ٢٠١١/٠٩/٨.

- كلمة الإمام في أساتذة الجامعات بتاريخ ٢٠١٠/٩/٥.
- كلمته في مسؤولي المنظمة الوطنيّة للطاقة النوويّة والعلماء الذريّين في البلاد بتاريخ ٢٠١٢/٢/٢٢.
- لقاء الإمام مع أساتذة الجامعات في ٢٨ شهر رمضان ١٤٣٤ هجريّة.
- كلمة الإمام في لقائه مجلس خبراء القيادة بتاريخ ٢٠١٤/٣/٦.
- كلمة الإمام مع جمع من النخبة الشبابية في ٢٠٠٦/٩/١٦.
- لقاء بعنوان «الجامعة ودورها..» مع أساتذة وطلبة جامعة الإمام الصداق (ع) في ٢٠٠٦/١/١٩.
- كلمة الإمام في أساتذة الجامعات في ٢٠١٠/٩/٥.
- كلمة الإمام مع أساتذة الجامعات في شهر رمضان٢٠١٢.
- لقاء الإمام الخامنئي (حفظه الله) مع أساتذة الجامعات في ٢٠١٢/٨/٦.
- لقاء الإمام مع أساتذة جامعيّين في ٢٠١٢/٨/٢١.
- كلمته في لقائه أساتذة جامعيين في ٢٠٠٧/١٠/١.
- كلمته في لقاء أساتذة جامعيين ٢٠٠٧/١/١
- كلمته في لقائه أساتذة جامعيين في ٢٠٠٩/٨/٣٠.
- لقاء الإمام بعنوان «المقولة الثقافيّة بين الرؤية المادّيّة والنظرة الإسلاميّة»، بحضور أعضاء المجلس الأعلى للثورة في ٢١ رمضان ١٤٢١.
- كلمته في أساتذة وطلاب جامعة أمير كبير في ٢٠٠١/٢/٢٧.
- كلمة الإمام في أساتذة الجامعات ٢٠١٠/٩/٥.
- كلمة الإمام أمام حشد من المعلّمين في أنحاء البلاد ٢٠١٢/٥/٢.
- كلمة الإمام في يوم المعلّم ٢٠١٤/٥/٧.
- كلمة الإمام مع آلاف المعلّمين بيوم المعلّم، ٢٠١٤/٥/٧.
- كلمة الإمام في جامعة الإمام علي(ع) العسكريّة ٢٠٠١/١١/٢٤.
- كلمة الإمام مع أساتذة الجامعات الإيرانيّة ٢٠١٢/٨/١٢.
- كلمة الإمام مع المعلّمين وأساتذة الجامعات في محافظة خراسان

الشماليّة ١١/١٠/٢٠١٢.
- كلمة الإمام مع طلبة وأساتذة جامعة أمير كبير ٢٧/٢/٢٠٠١.
- كلمة الإمام أمام أساتذة الجامعات ٦/٨/٢٠١٢.
- موقع التغيير الإخباريّ، علي البخيتي، ١٤/٨/٢٠١٢.
- كلمة الإمام مع أساتذة الجامعات ١٥/١٠/٢٠١٣.
- كلمة الإمام في لقاء رئيس وأعضاء مجلس خبراء القيادة ٢/١١/٢٠١٣.
- كلمة الإمام في خطبة الجمعة في طهران ٤/٢/٢٠١١.
- ناهدة البقصمي، **الهندسة الوراثيّة والأخلاق**، سلسلة عالم المعرفة ١٧٤، الكويت، حزيران ١٩٩٣.

سلسلة أدبيّات النهوض

١- العبادة والعبوديّة في الرؤيا والسلوك عند الإمام الخميني	حسن يحيى بدران
٢- عاشوراء وخطاب المقاومة الإسلاميّة	عليّ مهدي زيتون
٣- الشعائر الحسينيّة من المظلوميّة إلى النهوض	شفيق جرادي
٤- على ضفاف الفرات	إبراهيم أمين السيّد
٥- مجتمع المقاومة	نعيم قاسم
٦- الشيخ عبد الحميد بن باديس	إلياس جوادي
٧- الثورة الإسلاميّة في إيران: ظروف النشأة والقيم القياديّة	منوشهر محمّدي
٨- الخطاب عند السيّد حسن نصر الله	أحمد ماجد
٩- الحداثة والمقاومة	طه عبد الرحمن
١٠- الإمام ونهج الاقتدار	شفيق جرادي
١١- قيم النهوض: الحرّيّة - العدالة - الاستقلال الوطنيّ	مرتضى مطهّري
١٢- النهوض الحضاريّ في فكر الإمام موسى الصدر	غسّان فوزي طه

العنوان	المؤلف
١٣- القدس في الوعي المقاوم	بلال حسن التل
١٤- مباني إنتاج الآخر في العقل الإسرائيليّ	حسين سلامة
١٥- الدولة والمقاومة في ظلّ الأوضاع الدوليّة الراهنة	مجموعة من الباحثين
١٦- المقاومة: جدليّة الحقّ والقوّة	مجموعة من الباحثين
١٧- الشورى ونظم الأمر	عليّ يوسف
١٨- الحرب على غزّة	مجموعة من الباحثين
١٩- المرجعيّة الدينيّة والمقاومة	عبد الساتر الموسوي
٢٠- إشكاليّة الوعي والذاكرة العربيّة	بيان نويهض الحوت
٢١- الرؤية العلميّة لدى الإمام الخامنئي	عبد الله زيعور
٢٢- الفقه السياسيّ في فكر الإمام الخامنئي (حفظه الله)	مجموعة من الباحثين
٢٣- السيادة الشعبيّة الدينيّة	مجموعة من الباحثين
٢٤- الحاكميّة: دراسة في المفهوم وتشكّله	أحمد ماجد
٢٥- صناعة الأمّة الإسلاميّة: الإمام الخامنئي (حفظه الله) وقيادة المشروع الإسلاميّ الاستنهاضيّ	عبّاس نور الدين
٢٦- حقوق الإنسان من وجهة نظر الإمام الخامنئي	منوجهر محمّدي

٢٧- الفكر السياسيّ عند الإمام الخامنئي	مجموعة من الباحثين
٢٨- المسلمون بين المواطنة الدينيّة والمواطنة السياسيّة	علـيّ يـوسـف
٢٩- القدس: الموقعيّة والتاريخ	مجموعة من الباحثين
٣٠- المرأة في فكر الإمام الخامنئي	مجموعة من الباحثين
٣١- عاشوراء: الحدث والمعنى	محمّد مهدي الآصفي
٣٢- السيادة الشعبيّة الدينيّة: إشكاليّة المفهوم	مجموعة من الباحثين
٣٣- السيادة الشعبيّة الدينيّة: معالجات في التطبيق	مجموعة من الباحثين
٣٤- الهواجس الثقافيّة عند الإمام الخامنئي	إعداد مركز صهبا
٣٥- أساس الحكم في الإسلام	محسن الآراكي
٣٦- الإسلام وتهمة الإرهاب	علـيّ يـوسـف
٣٧- خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء	محمّد باقر الصدر
٣٨- وعي المقاومة وقيمها	شفيق جرادي
٣٩- سنن القيادة الإلهيّة في التاريخ	محسن الآراكي
٤٠- روح التوحيد (رفض عبوديّة غير الله)	الإمام الخامنئي
٤١- دور القرآن في بناء نهضة الأمّة ووحدتها	مجموعة من الباحثين

٤٢- نهضة الذات	محمّد مهدي الآصفي
٤٣- الإيمان ومستلزماته	الإمـام الخـامنـئـي
٤٤- الإسلام في مواجهة التكفيريّة	شفيـق جـرادي
٤٥- التوحيد وآثاره	الإمـام الخـامنـئـي
٤٦-دراسات في الدولة والسلطة	مـحـمـّد طـي
٤٧-النبوّة وضروراتها	الإمـام الخـامنـئـي
٤٨-أخلاقيات العلم عند الإمام الخامنئي	عبـد الله زيعـور